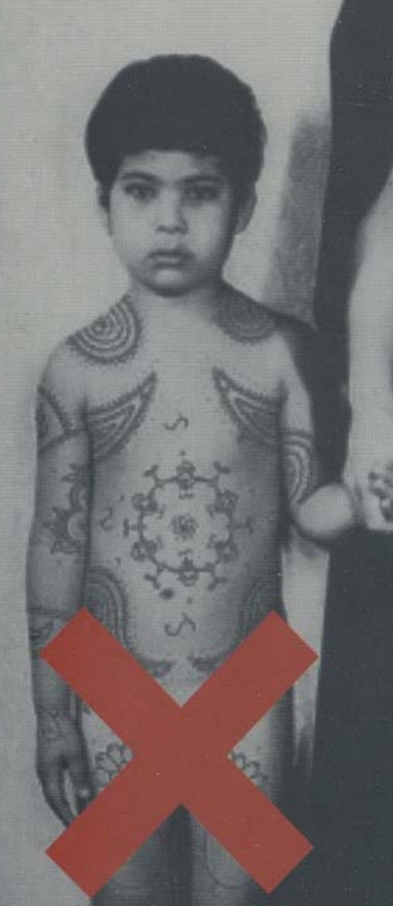


نصوص

حسن بلاسم

طفل الشيعة المسموم

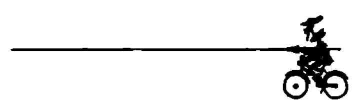




طفل الشيعة المسموم

المؤلف: حسن بلاسم / عنوان الكتاب: طفل الشيعة المسموم
الطبعة الأولى: ٢٠١٦.
صورة الغلاف: شيرين نشاط / صورة المؤلف: كاتيا بوهم
تصميم الغلاف والإخراج الفني: الناصري

ISBN: 978-88-99687-16-8

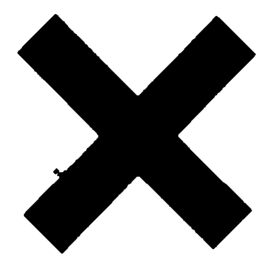


منشورات المتوسط

ميلانو / إيطاليا / العنوان البريدي:
Alzaia Naviglio Pavese. 120 / 20142 Milano / Italia
العراق / بغداد / شارع المتنبي / محلة جديد حسن باشا / ص.ب 55204.
www.almutawassit.org / info@almutawassit.org

حسن بلاسم

طفل الشيعة المسموم





المتوسط

يجب شراء إعلانات الشعر

الإعلان

أبيع جسدي
أبيعه بأبخس الأثمان
أبيعه شرائحاً، وأبيعه في قناني النبيذ
أبيعكم بالمتر والغرام

أبيعكم من دون غش، أبيعكم الصدر والأكتاف والأضلاع. أبيعكم الجذع، أبيعه مع ابتسامة عريضة. علّقوا عليه القمصان الصيفية. هذا الجذع - يا سادة - يصلح كمرآة أثرية مشروخة. اقتربوا، تفرّجوا، إنه مناسب كهدف للتصويب في معسكر الجنود.

أصابع يدي، انظروا، لتسلية العجائز. أصابعي هادئة، كملاعق فضّيّة قديمة

أبيعكم جسدي، يا مصّاصي الدماء
أبيعه بكل محبة وتواضع
أبيعكم، يا أصدقائي القدامى، ويا أصدقائي الجدد
أبيعكم كبدي ورئتي وكليتي
قلبي، أوه...

قلبي ألف حاجة وحاجة. منفضة سجائر. هدية غامضة في عيد الميلاد. إسفنجة لتنظيف مقعد المرحاض. صورة للبحر من دون إطار. رمّانة مخمّرة منذ القرن الثامن عشر. عجينة دم لخبز أسود. لكنّ قلبي لا يصلح كقطن لسدّ الجروح، ربما ينفع لمسح زجاج النوافذ، أو كقطعة لحم لكلب جائع.

اشتروا ساقيّ الحزينتين

اشتروا قضيبي للعادات السّرّيّة

اشتروا عيني لحراسة الليل

اشتروا معدتي لهضم الألم

دماغي مع قليل من التوابل يساعد المرء على كتابة الشعر. شفتي مطبوعة على الورق، ملصق لتخويف المدخّنين. جلدي لخياطة أقنعة مسرحية.

ضعوا مؤخّرتي في صالات الاستقبال بدل رؤوس الثيران. استخدموا أذني لإضحاك الأطفال. اربطوا عظامي كحبل لنشر الغسيل.

اشتروا أسناني المنخورة لصنع قلائد الشعوذة

اشتروا دمي لتعميد الوحدة

تعالوا..... تفضّلوا...... اشتروا..... أتوسّل إليكم.......

احتفظوا برأسي كمزهرية. اشتروا مع الزهور الكثير من لحمي. ضعوا قطرتين من أنفاسي في طبق الفاكهة. فرّقوني في بطونكم. رشّوني على الأسرّة. اطحنوني، وانثروني.... لِمَ القبر وحده مَن يشتهي؟!

ماركة مسجّلة

أنا عراقي. وُلدت في عام ١٩٧٣ في بغداد، لكني أذكر - أيضاً - أنني وُلدت في سفينة نوح، من قرد نام مع سحلية، وكان البحر هائجاً. لا، علينا أن نمحو آثار السعادة، ونحن في الطريق؛ كي نحرق الأمل في القصيدة، تقول الأغنية. لكن الكأس الذي تلفّه الأفعى هو رمز يجب المحافظة عليه مطبوعاً على أغلفة الأدوية. والأهمّ من ذلك، تعميمه على شواهد القبور بدل الصلبان والآيات القرآنية. يمكن إضافة موضوع الوحدة إلى قائمة السموم الطبية. ومعها الشكّ وزهرة الخشخاش.

يجب تكرار الكلمة: الإنسان الإنسان الإنسان، إلى أن تُصاب بالدوار
أنا هندي. وُلدتُ في معبد بوذي، من رجل نام مع تمثال في ليلة ماطرة
أنا سوريالي متطرّف، لا أؤمن بالتماسك
أنا كاثوليكي، تزوّجتُ من أصدقائي الذين ماتوا من دون سبب
يجب التحقيق في مركز الشرطة مع جميع الأرحام
يجب تعذيب الكآبة في سجن انفرادي
أنا شيعي. وُلدت من زواج متعة في ظهيرة تمّوزية
أنا أسيرٌ هارب، وعشرون كلباً يلهث ورائي
يجب تحريم الدخول في امرأة، من دون وضوء
يجب ممارسة التمييز العنصري ضد الله
يجب تلقيح الشعر بمرض العدوانية
يجب فضح الحب في السينما

أنا ثلاجة موتى ملوّثة بدم أصدقائي المتجمّد في قلبي. وفي رواية أخرى، أنا عراقي. متّ في المنفى، لكني أشعر أنني قُتلت بالخطأ في بيت عاهرات. كنتُ أحاول أن أدفع بالشعر إلى الخطوط الأمامية. كنتُ أحاول أن أجرّه عنوة إلى الخنادق؛ حيث يتبرز الجنود من شدة الخوف، ويحاربون، من دون أمل، في أرض غريبة. ثم أُصبتُ بلوثة الحكمة عن طريق العدوى: لقد خُذِلتُ،

قلتُ. يجب أن أشتري كلباً، وأشيخ. حسناً، لقد أفلحتُم جميعاً في هزيمتي، لم يبقَ أمامي سوى أن أزوّر التاريخ، وأنتصر لمعركتي. دعوني - الآن - أعقد معكم هدنة سلام. دعوني، أكتب عن النوم الذي حُرمت منه طويلاً. كل النيام يكتبون قصائد رمزية عظيمة. حتى القاتل حين ينام، تسقط عنه جرائمه. انظروا إلى قسمات وجهه المهذّبة التي تفوح منها رائحة طفل رضيع. أنا خفّاش مدهون باللون الأحمر في صحن فاكهة. يجب تدريس موسوعة الخوف في المدارس الابتدائية. يجب التركيز على مادة تاريخ الشيخوخة. لا يمكن حشر المكتبة في الصيدلية. المقبرة هي الصيدلية. أنا مشهدُ حريق في مسرحية رديئة، مشهدٌ تفحّمت فيه جميع الحقائق الورقية. على كل حال، يجب الانتباه إلى خطط إعادة الاعتبار للقرون الوسطى، بحيل إلكترونية. أنا ما أزال أُصلَب في قضايا دينية.

لابد من بناء سفينة نوح جديدة...

غناء شخصية كارتونية

يمكن تلحين المقاطع الغنائية – فقط – في أثناء القراءة

بحشائش، أو أغصان صغيرة، يستر الصيادون قبّعاتهم، ثم يختبئون خلف الأشجار؛ كي يطلقوا موتهم الخاص. الموت الآخر لا يفعل ذلك، هو يتجوّل عارياً في المدينة، وفي يده كيس زبالة. يردّدون - بعد الجاحظ - أن الأفكار ملقاة على قارعة الطريق. أما أنا؛ فعثرتُ على حجر غريب، له شكل قلب حيوان مذبوح. أخذتُ أحمل الحجر، وأصفّر لحناً يقول: تعال، يا كنّاس العراة، تعال، وشدّ شعري من الحاوية، تعال....

أراقب سيارة إسعاف مسرعة. أنا في الطريق إلى حلاق الرؤوس. الأحمر والأصفر والأخضر ثلاثة عيون في رأس العمود. ثلاثة ألوان، يمكن أن ترسم الشمس فيها، وهي تزرع الحديقة بالنور. لكن الأصفر هو عندنا لون التردّد والمرض والجنون. أجتاز خطوط العبور، مثل تلميذ كسول. ويقولون إن الرجل هو الأسلوب. الأحمر هو لون الحبّ، ومرات كثيرة هو لون الكراهية.، ثم أفكّر بأسلوب الموت، وإن كان هو أنثى. الحجر طفل بثوب أخضر عند حافة النهر. أضع صورة الطفل في جيبي، وأصفّر: الحياة، يا حياة، يا حياء الميت، يا أحياء...

في المرآة، يبلّل الحلاق رأسي برذاذ الماء. أشعر بدغدغة أفكاري. ويقولون إن القصائد مجرد كائنات تحتضر. يتحدثون في قاعة مغلقة عن نهاية الشعر. وفي الصحف عن موته. يقولون إنه عصر الرواية والسينما. سيندمون بعد قليل، ويطالبون بكتابة شهادة وفاة للسينما والرواية. سيقولون - من جديد - إنه عصر العبث، وإننا بحاجة إلى أن نقرأ القصائد على سطح القمر كيلا يَجْمُدَ الأمل. الحجر يغنّي فوق سطح القمر: يا نور، يا أرض، يا عينيي، يا ثور السماء، يا ثور..

أضعُ وصايا صفراء، فأنا أصلع، ولن يجد الحلاق شعرة واحدة في رأسي. يبتسم المقص، وهو يغني: الحياة حلوة، بس نفهمها...

- تناول الطفل دواء أبيه، فتسمّم، ورحل - لا تثقوا بالآباء.

- شعرة في الحساء تركته يتقيّأ - لا تدفعوا الحساب.

- فُقئت عينه في شجار بين رجلين - تخلّوا عن فكرة السلام.

- قُتل جاره، فاتّهموه زوراً - إذنْ؛ كونوا قتلة بدل أن تكونوا ضحايا.

- خرج بقميص صيفي، عاد بمظلّة مطرية - اضحكوا من الله.

المهمّ أن تقفوا على أهبة الاستعداد. ارتدوا الأقنعة الواقية. احذروا من قضية الإنسان الذي دخل جسد الحيوان إلى الأبد. مع السلامة. تحياتي. سجين يصفّر في زنزانته: حتى الظلام... أجمل في بلادي... يحتضن...

صدريات القصّابين ملطّخة بالدم.

هم رجال مفتولو العضلات.

لكن الموت ليس كذلك. الموت رشيق وعار ونظيف

وفي يده حقنة طبية

كما أنه لا يغش في الوزن.

عامل نظافة يغني عارياً:

أكنسكم، يا عراة...

أكنسكم، يا جبناء..

أكنسكم، يا زبل الحياة...

يا يا يا ليل، يا ليل، يا ليل المقبرة، يا ليل...

لهذا كله، طلبتُ من الحلاق أن يضع على رأسي باروكة غوريلا...

سكّين تقشير الفواكه

هذا نصّ عن القارئ. لديّ حقنة طبية، لن أستخدمها إلا عند الضرورة. أنا محتال، أكذب في اليوم ثلاث مرات على الأقل، وأخون زوجتي كل شهر مع امرأة أخرى. أما من أيّ ماض أتيتُ - فهذا سؤال جيد. لقد خرجتُ من مدينة، يُسفك فيها الدم؛ لتبقى العتمة متّقدة. العتمة تُلقي ظلالها على حاضري مثل شبكة مخصّصة لصيد الدببة. لذا؛ أنا لستُ سمكة في شبكة، بل مسخ في عتمة. القارئ الذي أتحدّث عنه هو امرأة. إنها القارئ الوحيد الذي يمكن مضاجعته وشمّ أبطيه في أثناء قراءة قصائدي. إنها شأن كل القرّاء الذين أشتهيهم كالمجنون. قرّاء أصرخ في وجوههم، وأدلّلهم، وأهجرهم، وأعود إليهم نادماً، وأناقش معهم الفواتير المتأخّرة، وأغسل معهم الصحون، وألحس لهم... ويمصّون لي... قرّاء أُضحكهم، وأبكيهم. قرّاء أشتمّ أفكارهم التافهة حول الحياة والجيران. قرّاء أشاهدهم يتبوّلون في المرحاض، ويستحمّون معي، وأراقب انتهاء دوراتهم الشهرية. قرّاء يفزعونني برغبة الإنجاب. قرّاء يجيدون طبخ الدولمة، ويعدّون سلطات سيئة. قرّاء غيورين. قرّاء أحتضنهم ليلاً، وأبكي. لقد تزوّجت من قارئ؛ لأنه كان معجباً بقصائدي. هي القارئ الوحيد الذي كنتُ أكتب من أجله. هي زوجتي التي تجلس - الآن - في غرفة التحقيق في مركز الشرطة. هي القارئ الوحيد الذي تمكّنتُ من طعنه من دون أن يموت. هي القارئ الوحيد الذي دخلتُ بسببه السجن. الشرطة لا تعرف بأنني أحتفظ تحت وسادتي بحقنة سمّ. أحلم في الليل بجيش من القرّاء العراة يهجم على قضيبي. وأحلم بأنني شاعر يمصّ دم قارئه في فيلم رعب. هذا نصّ عن شاعر، تزوّج من قارئه. هو نصّ عن الخطأ والسكّين. نشروا أخيراً في الصحف تحذيراً من قراءة نصوص شاعر،

أو مضاجعته. ونشروا مع التحذير صورة فوتوغرافية تعبيرية لشاعر، يكتب بطرف السكّين. اقترنت زوجتي أخيراً بشاب مهندس، ولديها اليوم طفلة. أما أنا؛ فأمامي ثلاثة خيارات، لا غير. إما إغواء قارئ جديد، وإما قتل القارئ القديم بعد خروجي من السجن، وإما أن أغرز تلك الحقنة في رقبتي. هذا نصّ عن الماضي والانتظار والحلم. عشاء اليوم في مطعم السجن رز وفخذ دجاجة. سنؤجّل الحديث عن القرّاء إلى يوم آخر. فأنا جائع جداً. ولكَم كان مبهماً دم القارئ على سكّين تقشير الفواكه!.

والآن هذه سبع وصايا أخيرة:

لا تتزوّج من قارئ
قشّرْ رأسَ القارئ بسكّين
لا تبخل على القرّاء بعروض للسخرية
اخلق قارئاً، ودع قارئاً آخر يقتله
نم مطمئناً، وفي دولاب الملابس جثة قارئ
لا تُسجَنْ من أجل قارئ
لا تزن مع القرّاء

صورة فوتوغرافية
للمرأة التي دخلت المقبرة عارية

حين أصغي إلى الماء الذي تغتسلين به في الحمّام، تستعد مخيلتي لرسم خطة أخرى، لتلطيخ جسدك من جديد. ابدأ برسم الأشياء البليغة التي تدعكين - الآن - بأصابعك. سأنفخ فوق بظرك مرة أخرى مثلما ينفخ على الجمر، ثم أصب فوقك من برميل عصير العنب. سألعق شرايينك حتى تبلغين الهيستريا. ستنامين ليلة ناعمة في غيمة أنفاسي. وحين تفيقين، آخذ بشمّ جسدك العاري، المخمَّر منذ ليلة تحت شرشف برتقالي. لكنْ؛ هناك شفرة الموت التي تجرح ذهني. ويحدث لي خلط بين اللّذّة والألم. يمتزج في قلبي الماء بالطين. وفي مخيّلتي، ترتفع مدخنة من وسط حفلة جنس جماعي.

إمرأة عارية، هي قضية شعرية تعني لي الكثير:
الموت كئيب إلى الحدّ الذي لا يُطاق
ضرب المرأة في أثناء ممارسة الجنس رياضة أخلاقية
ضربها الرجل رياضة واقعية
مضاجعة نساء بمختلف الأعمار، فيه عافية وبركة
للزمن في سنّ العشرين مذاق هو غيره في سنّ الخمسين
الفارق كبير بين الفخذين
الموت حارس يراقب الجسد
الروح لصّ، لا يجب معاقبته
والرغبة حصان يجب عدم ترويضه في مزرعة
تأوّهات المرأة العارية يجب أن تطبخ في عدس الفقراء

خيانة المرأة التي تعشق هو فنّ الخوف من الموت، في بعض الأحيان
خيانة وطن هي قضية مدرسية صغيرة
خيانة الشعر قضية مضحكة
خيانة الروح لا تُغتفَر
خيانة الروح قضية لا تنفعها قاعات المحاكم
أقول - أيضاً - بأن مشهد المرأة العارية هو فأل حسن
والمني المخلوط بالحبّ قضية مختَرَعة
تلتصق بجسد المرأة؛ كي تثبت أن جسدك موجود أيضاً
الله قضية معقّدة مايزال هناك مناضلون من أجلها
الله غير مسؤول عن قضية الخيانة
الله نادم؛ لأنه عاطل عن العمل - ليس لديه قضايا ملحّة
الخيانة رياضة روحية لاكتشاف أسلوب إنسانيتنا
مع أن مذاق الزمن يختلف،
لكن تقبيل فتاة صغيرة هو لذيذ مثل تقبيل سرّة امرأة في سنّ اليأس
لنقل بطريقة كسولة إن الموت مائدة خشبية
والمرأة العارية زجاجة عطر
والزمن حَكَمُ ملاكمة وهمية بين جسدين عاريين

في مضاجعة البارحة، هل شهقنا سوية مثل وليدين من بطن واحدة؟ كنتُ أدفع بحبٍ، وأنتظر عسل دمك المصحوب بصراخ الغابة. كنتُ أفكر: أنا ريح، وأنت طاحونة قمح. كنتُ أجمع الفراشات من بظرك، بطرف لساني. هذه الصور، غير موجودة في ألبوم الموت، يا حبيبتي. حلمة نهدك حين تتجمّر بحاجة إلى صورة فوتوغرافية. علينا أن نحتفظ بجميع صور الحب في دولاب العبث، ونغني. الموت - يا حبيبتي - قضية عادلة. أحلم أن السماء تُمطر فوق قبري. وأحلم أن نهديك يصرخان حانقين في وجهي. الأحلام قضية نبيلة بحاجة إلى حفظها في ثلاجة الليل، من أجل أن لا يتفسّخ النهار.

صوت من الثلاجة

- لن أهتمّ، فغداً أنا ميت...

أطبطب على كتفي ليل نهار بهذه الحكمة الخاملة

حكمة تعرج، بسبب شياطين الحياة...

حياتي تشبه أحشاء بقرة مبعثرة في دكّان القصاب، وأشعر أني أعيش في هلسنكي منذ قرون، وهذا يعني أني أعيش في ثلاجة. فأنا برتقالة لاجئة في ثلاجة، أو ربما شريحة لحم الخنزير. من قبل كنتُ أقول لك، يا صديقي، بأن خلق الرعب هو من أولويات الفنان، ثم تأتي بقية الأحاسيس والمظاهر والأفكار واللعب واللغة والتشويق كزخرفة فنية. صدّقني، ليست فيّ اليوم رغبة، وحتى لإعادة الأنفاس التي أزفرها من صدري. هناك مضخّة دخان في رأسي، تنفث الأمراض على مدار الساعة. أنا بمساس الحاجة إلى التشبّث بحكمة واحدة صغيرة في هذه الحياة. أحتاج إلى طوق نجاة للخروج من بئر شكوكي المهجور.

من المفروض أني تعلّمتُ الدرس: أن أجلس فوق المصطبة مثل تمثال حيّ، وأن أتعلّق في لعبة التهكّم. لكنْ: من المفروض - أيضاً - أن يلقي أحدهم في جنازتي مزحة. لا أدري إن كانت تخصّ أنفي الطويل...

أنف الإنسان مزحة في جنازة

وربما تكون أذنيه، أو كرشه...

كرش الإنسان طبخة كوميدية من الخراء.

أنا موقن من أني سأنتهي والدرس معي في قاع النهر.

في قرية نائية أتلفتْها الذاكرة، كان أحدهم يجوب منادياً: المزحة ستنقذ

العالم في نهاية المطاف، نظّفوا صدوركم من الخوف، استسلموا لدغدغة الريح...

لكنني أريد أن أبكي مع مئة طفل تحت الشمس
أن يشرح لي أحدهم قيمة السلام التي تساوي قيمة الحرب

يخيّل إليّ أني أمشي وسط زحام الشارع، وأنا أمارس العادة السرية بقضيب من جليد. لا من أجل التهكّم، بل من أجل المخيّلة، وربما من أجل أن أجرح يدي.

المخيّلة التي تقول: كن بقرة تضرط قبل النوم
الإنسان الذي يكتب: عن فلسفة الغائط
يدي التي تنزف بسبب الخوف من الحب

مع ذلك، يا صديقي، أنا أؤدّي جميع واجباتي مثل طاقم أسنان جديد في فم عجوز في أرذل العمر: أكتب من أجل أن لا أعود إلى بلدي ،
ومن أجل أن لا أعود إلى أي مكان آخر.
أقول للأبقار الأخرى (صباح الخير)، و(ليلة سعيدة).
أشاهد التلفزيون، وأطلق حسرة على تسميمهم البيئة.
أكذبُ إن سألت عن مشاعري الحقيقية تجاه الأطفال،
وأدخّن علبة سجائر، أضعها على صور الأطفال الذي أحرقتهم الطائرات.
أدندن مع الأغاني الشعبية، وأبدي الملاحظات حول المطرب والحكاية ،
أدّعي أنني إنسان نظيف، غدر به الزمن.
أحاول أن أفكّر مع الحالمين بشفرة الوجود والحكمة، بضياع الله وصمته.
أحاول أن أُضحِك أصدقائي حين نثمل،
أحاول أن أضاجع الزوجة بكل ما أملك، بلساني وزبيّ وأصابع يدي وساقي أن أدخل أمعائي الغليظة ونصف شراييني وأنفي الطويل...

أنفي الذي سيحضر جنازتي كذكرى هوائية
أمي التي بكت على أكثر من شعب يحترق
أبي الذي تعطّل قلبه في جبهة الحرب
أخوتي الذي سرقهم رجل يرتدي عمامة سوداء
الأرض التي تدور بسبب طاقة الصدفة الأزلية
أنا الذي يكتم ضحكته، كلما لحستْ مؤخّرته ذبابة الليل

ما هي ذبابة الليل، يا حبيبي؟
ذبابة لا تزور الجميع، هي - ويا للمفارقة - رشيقة مثل عارضات الأزياء
لكنها واقعية مثل واقعية المرآة التي تنظّف أسنانك أمامها
أو مثل واقعية الطيور التي تحلّق فوق المقبرة

من المفروض أنني سأضع سلسلة مؤلّفات علمية عن الواقعية
سبعة أجزاء تتحدّث عن واقعية واحدة، لا غير
ما الفرق بين الليل كواقع ومعجون الطماطم كواقع أيضاً؟!..
قد يتحوّل الليل لبرهة إلى نمر يعدو بأقصى سرعة
وقد تتحوّل الطماطم في حلم امرأة إلى أثداء تتضخّم

الحياة في ثلاجة - يا حبيبتي - ليست مثل الحياة في الخارج. الحياة في ثلاجة تحتاج - أولاً - إلى الكآبة، ثم إلى مصاريف كبيرة. فحياة محرومة من الكحول كهذه هي حياة مخيفة، هي تفّاحة تتعفّن، علبة سردين من البحر الأبيض في ثلاجة. الحياة - يا صديقتي العزيزة - قصيرة، ونحن قد جمّدنا من فرط الحزن والشكوى. هناك - أيضاً - حاجة الحياة في ثلاجة إلى تعلّم الصمت. فالبرد القارس هو عقوبة لمَن تحدّث طويلاً من دون جدوى. في الثلاجة، نحن نقرأ عن الخير والشر مثلما نقرأ عن نشرة الأنواء الجوية. في الثلاجة، يرتدي مقدّم الأخبار درعاً شتائياً، ويطبع على وجهه ابتسامة عريضة؛ كي لا يجمد المشاهدون. هنا الدم لا يسيح كما يسيح على

الأرصفة في بلادنا. الدم هنا – يا صديقتي - يتجمّد. صحيح أننا لا نسمع هنا لعلعة الرصاص، ولا دوي الانفجارات، لكننا نسمع من الثلوج الهاطلة فحيح الوحشة. هو كالهمس، لكنه يصمّ الآذان من شدّة بياضه. كيف أصف لك الحياة في ثلاجة، يا صديقتي؟!...

أنا خبز أسود في الثلاجة. أنا ستّ قناني بيرة. بيضة في ثلاجة. أنا خلّ التفاح. أنا جبنة، طماطم، أنا دواء يحتاج إلى درجة حرارة منخفضة. لحم خروف متجمّد. أنا سلطة خيار ولبن. أنا روبيان. أنا ذراع أخطبوط في ثلاجة...

هل تريحك هذه المخيّلة الذابلة؟

هل يريحك قضيبي حين يرقص الهيب هوب بين فخذيك؟

أذهب كل مساء إلى الغابة، وأصيح: يا خوف، يا ليل، يا عيني، يا خوووووف...

لكن صوتي البشري لا يتناغم مع أصوات الغابة. هو يذكّر بسمفونية التفاهات التي تُعزف في المدينة، تلك الموسيقى الحجرية المتكسّرة في ماكنة العيش. تبدأ الصرير منذ الصباح الباكر. في الأسواق التجارية والبنوك والجامعات والمستشفيات والبرلمان والبارات والمطاعم. أصوات الخزي البشري. أصوات في الباصات والقطارات، أصوات في الطائرات والسفن، أصوات شجارات البيوت، شتائم، إهانات، لعلعة رصاص، لغط، صراخ، بكاء، هتافات مظاهرات من أجل البيئة. تصفيق عند منح جائزة للسلام، بينما حروب جديدة تشتعل في بقاع جديدة، أصوات سيارات تصطدم، سيارات ملغومة تنفجر، سيارات لصوص، سيارة إسعاف، سيارة بنك محملة برزم النقود، سيارة إطفاء. أصوات جوامع وكنائس، خطب جمعة، مواعظ، أصوات جنس جماعي، زجاج يتكسّر، أصوات تدخل من الأذن اليمنى، وأصوات تخرج من اليسرى. لو كان الإنسان أصمّ، لكن العالم أقل إيلاماً. هناك صوتان -

فقط - يصلحان لإحلال السلام: أغاني الغابة والموسيقى. نعم ، حبيبتي، الغابة صوت. صوت قديم يجدّد نفسه مثل نهر، لا يتوقف عن الجريان. لقد لوّثنا النهر، يا حبيبتي. ونحن قد قطعنا الأشجار. وطرنا إلى الفضاء بحثاً عن المزيد من الأصوات. لقد دمّرنا الإنسان فينا بإلقاء حطب أكثر في فرن عالمنا المستعر. لقد طبخنا وخبزنا وقتلنا كما السفّاحين، ومنحنا الجوائز وأوسمة الشجاعة للمجانين والقتلة. نحن أبطال نستحق الشنق في نهاية الفيلم، أما الجماهير؛ فهي تبكي؛ لأنها تعجز عن إنقاذ البطل الذي يشنقوه وسط الساحة. لقد ذبحنا إنساننا من الوريد إلى الوريد، وجلسنا نبكي عند قدميه. كتبنا القصائد من أجل كرامة الإنسان، بينما كتب آخرون حروباً طويلة، لم ولن تنتهي. أُغرقت قصائدنا بالذلّ والخسارات. البشرية اثنان، البشرية صوتان. أغلبية تتحدّث من دون توقّف، وأقلّيّة نباتية صامتة تتحدّث بالإشارات.

حسناً...

وداعاً، يا حبيبتي

لم تكن هناك وردة أجمل من بظرك

وداعاً، يا صديقتي

لم تكن هناك أغنية أجمل من قبلتك

وداعاً، أيتها الذبابة

وداعاً أنفي

وداعاً، أيها الثلج

وداعاً، أيتها البقرات

وداعاً، يا صوتي الهزلي

وداعاً وداعاً وداعاً

يا أحبّائي، أنا لا أمزح ،

بل أنقلب على ظهري مثل صرصار من شدّة الضحك

أضحك من الشعر العظيم، الجميل، العميق، الحادّ، البسيط، الحكيم، المتسامي، المبخر، المنحوت، المقلي، المتصابي، المقدّس...

أضحك من كل شعر، لا ينقلب على ظهره

أضحك من كل إنسان، لا تضحك فيه الصراصير

٢٠٠٨

ميت في طبعات

لا تتركهم يصيحون خلفك، يا شاعر
كأنهم يبصقون في دمك
قل لهم:
أنا جامع نفايات
راعي بقر
البقر الكلمات
قل لهم إنك تستدين من الشمس أنفاسك
حتى تسدّد فواتير الليل والورق
وإن حياتك الآتية قروض
لا تتركهم يُلبسونك قبّعة الغموض
قل لهم
أنا أصلع
صياد سمك
قل لهم إنك تمزح
فليس من الشرف تضميد العالم بالقطن الكلمات
قل لهم إنك تحيض،
وتزحف، وتحلّق
وإنك شجرة مسحورة، وقد كانت تمساح
لا تتركهم يهدمون بيتك في فناء الهامش
قل لهم إنك مصاب

وتخشى أن يمرض بك الشعراء والكلاب
قل لهم
أنا صندوق نباتات
ملاك البحر
وأنك تسجد للبحر والفقراء
وبأنك تكره البحر الذي يشبه الفقراء
قل لهم
أنا راهب
تمصّ حلمة العذراء حين تنام
وبأنك الخنزير على مائدة الإنسان
قل لهم إنك أسطول غريق
الطحالب على أسنان الجنود
قل لهم
أنا سورة الحصان
يعدو في سورة الشعراء
وإنك بعض ذئاب مخنّثة
لئلا تفترسك أحزان الرجال الآسنة
لا تتركهم يطبعون لسانك اللقيط في كتاب
كأنهم يرتقون جثتك المفتوحة بلا أزرار
قل لهم
أنا
ميت
في
طبعات!

٢٠٠٥

قصة تتحوّل إلى شعر من دون سبب

بداية الطفل

كنا ننتظر وصول التوابيت على حافة الطريق العام. كنا أنا وباسم في سنّ الثامنة. وكانت الحرب مع إيران في عامها الرابع. التوابيت ملفوفة بالعلم، ومربوطة جيداً فوق السيارات القادمة من جبهات القتال. كنا نريد أن نصبح كباراً؛ لأن الكبار كانوا يقفون عند مرور التابوت رافعين أكفّهم بوقار وحزن. وكنا نحيي الموتى مثلهم. وإذا ما انعطفت سيارة موت في حيّنا، عدونا وراءها في أزقّتنا الموحلة، وكان السائق يبطئ السرعة؛ لئلا يسقط التابوت. ثم تختار السيارة باب بيت نائم؛ لتقف قبالته. عندها تخرج نساء البيت، وهن يصرخن، ويرمين أنفسهن في برك الوحل ملطخات الشعر بالطين. أما أنا؛ فأُهرع ورفيقي؛ ليخبر كل واحد أمه بأيّ باب وقفت سيارة الموت. وكانت أمي تردّ عليّ: أذهب، وأغسل وجهك، أو: أذهب إلى جارتنا أمّ عليّ، وأسألها إن كان لديها قليل من البهارات. وفي المساء، تلطم، وتبكي أمي مع نساء الحي في بيت المقتول.

ذات يوم، جلستُ أنا وباسم بانتظار تابوت. كنا نأكل حبّات عبّاد الشمس. انتظرنا طويلاً، وكدنا نفقد الأمل، ونعود إلى البيت خائبين، حين لاحت لنا - أخيراً - سيارة الموت قادمة من الأفق. عدونا خلفها مثل كلاب سعيدة، وكنا نتراهن على مَن يسبق السيارة التي توقّفت في الأخير أمام بيت باسم الذي خرجت أمه، وهي تصرخ بسعار، شاقّة ثوبها في بركة الوحل. تسمّر باسم بجواري، وهو يحلق بذهول. انتبه إليه أخوه الكبير، وسحبه إلى داخل البيت. أما أنا؛ فركضتُ إلى حضن أمي باكياً بحرقة. قلتُ: أمي، مات

أبو صديقي باسم. قالت: اغسل وجهك، واذهب إلى الدكان... اجلب لي نصف كيلو بصل.

بلاد الطفل

كانوا مجروحين، يحلمون بتطبيب الألم بعظام الأسلاف وبخور القبيلة. وكنتُ أفكر بالروح والموسيقى والحلم وارتطام الجسد بالجسد، وبهذا الكون الذي كلما قطفنا منه زهرة، ازداد غموضاً ووحشة. كانوا يصيحون في وجهي: الجذور... الجذور. لكني كنتُ معلّقاً في الهواء، وكانت جذوري الكوابيس. لقد وُلدتُ في مقبرة جماعية. في الليل. من زواج جثّتين. الوهم والماضي. وكانت السماء بلون الدم.

بقية عمر الطفل

كان بودي أن أكتب قصيدة أقل شأناً من الشعر، وأرفع منزلة من الخوف. وكان ذلك بداية الهواية. كان العالم حينها يبدو تابوتاً، وكنتُ مشغولاً بتعقّب أحاسيسي مثل ضرير. وكانت المقبرة مدرستي الليلية.

نقول: كان يصارع الموت. وكأن الموت ثور. نقول أيضاً: لقد داهمه الموت. كأن الموت فرقة اغتيالات. حين كنتُ يافعاً، حلمتُ بإنقاذ الغرقى. لذا؛ أردتُ أن أتعلّم السباحة عن طريق الكُتُب. يقولون: جاءه الموت. كم من المسافة قطعها مندوب السلام هذا؛ كي يزوره؟ نعم، كان الموتى يتناسلون من حولي. بعضهم كان يشيخ، وآخر كان يقتل.

لا حاجة إلى تمجيد المطر في قصيدة. فكل الفصول هي أنت. الغيمة رمز. والغضب سماد القصيدة. عود الثقاب المبلّل لا يتكلم. المخيّلة تسعة وتسعون متظاهراً، يهتفون ضد المعنى. المخيّلة مثل أسماء الله ينقصها اسم على الدوام. المخيّلة تكره الله، بسبب المعنى.

لا أحلم في الليل، فأنا لا أنام. أتعذّب واقفاً في الحديقة عند شجرة عملاقة. أتخيّل الموت يدقّ، بمطرقة، أبواب العالم. وحين لا يفتحون له، يدخل من الشباك. لذا؛ نقول بأن الموت قد اختطفه. الحياة لا تعنيني. بل تعنيني مدرسة الغرق. نقول: رحل مبكراً. لكن أيَّ حقيبة أخذ معه في رحلته العاجلة هذه؟!. فلاسفة يقولون إن الحقيبة كانت فارغة. رجال دين يقولون إن الحسنات كانت ملؤها، أو السيئات. أما العلماء؛ فيقولون إن الخلية تفقد أعصابها، وتنفجر في نهاية المطاف. بعضهم يقول إن تجربة الحياة على الأرض كانت فاشلة منذ اللحظة الأولى. أما نحن؛ فنقول: انتقل إلى جوار ربّه. لكن أيّ حمار ركب إلى هناك؟!

يقول: تقبيل حلمة نهد المرأة يساوي العالم، وآخر يقول: تأملُ تفاحةٍ مغسولة بالماء البارد هو الحقيقة. فالشعر تطرّف وتعصّب. عناد إنساني مؤثّر. الشعر يرقد في المستشفى في آنية الزهور قرب رأس المريض. السرير رمز. الزهور إيماءة وداع خبيثة. كانوا يقولون إن الشعراء يحرثون الهواء، من أجل كفن أكثر كرامة من التراب. وكان بودي أن أنتمي بدل ذلك إلى طائفة المنتحرين. نقول: شنق نفسه. ونؤلف كتاباً عن العبث. وكنتُ أقول لا بد من أن نقيم عرساً، نرقص فيه عراة.

ومَن يطيل التفكير بالموت، يكتب قصيدة. ومَن يطيل التفكير بالشعر، ينتهي بالموت. ومعنى شاهد القبر: كان. ومعنى القصيدة: كنتُ.

هلسنكي - كانون الثاني ٢٠٠٨

عزيزي القارئ

نعم
الروائي حلاق واقع
الموتى خزين واقعي
الأشجار تماثيل واقعية
نعم
الإنسان دجاجة الواقع
البيض حكّة جنسية
الدجاجات واقعية جداً
الواقع بيت الدجاج الحزين
نعم
الحلم رئة واقعية
الشاعر ثعلب دجاجات واقعي
القاتل حلاق واقع أيضاً
نعم
الحاضر غريق واقعي
البحر مسرحية واقعية
الأسماك تصفّق
بقوة تصفّق للغريق الواقع
نعم
في بطون الزمن

جماجم الأطفال واقعية
طاحونة ريش
الزمن حارس طاحونة واقعي
نعم
عزيزتي الدجاجة
كل الابتكارات أحذية واقعية
ما عدا الله
الذي كتب في ستة أيام
نعم
حكايته السينمائية هذه

٢٠٠٤

زوايا

عين الشاعر

الشاعر الصديق مربوط بأسلاك شائكة مرئية، ويكتب قصائد ذليلة وسجين أيضاً. الشاعر الملعون جبان ينسحب إلى الهذيان، وهو سجين من نفس الأسلاك. الشاعر المثقّف سجين يدّعي النظافة والإيمان. الشاعر الزاهد هو حارس قديم في السجن. شعراء القضية هم سجناء مصابون بالإسهال الحادّ. شاعر قصيدة اليومي هو سجين حليق الذقن ومحتال. شعراء الحبّ هم سجناء مخنّثون. ومنهم مَن يحبّ الوشم والنثر. وهم - عادة - نشّالون صغار.

ورقة وحيدة مذيّلة بتوقيع قاتل، لا يدّعي الشعر.
كتب ستة قصائد وطفلة صغيرة بسكّين واحدة
وجدوه يأكل من قتلاه، ويضحك!
وجدوه - تماماً - بلا أسنان...
وجدوا دم الطفلة على أسنانه المنزوعة
وجدوه ينتظرهم في مزرعة تفّاح فارغة!

عين الشبح

هؤلاء الناس عاشوا مهزومين وقتلة.
لم أقبل مرة في حياتي أن أكون كاتباً.
كنتُ أحلم بمكتبة ضخمة وباردة وسط المدينة.
أبيع التأريخ والقصص
والروايات الفاسدة لهؤلاء السفّاحين
كل الخراء المنثور سأبيع: ببساطة كان الشعر محاولة متواصلة لفقدان الحياة بينما السينما،
في استعادتها.
هؤلاء الناس.
هذه التماسيح الهرمة.
هذه المشاهد المتتالية من الرعب.
هي ما أتاح لي أن أعيش كالأشباح.
مرة في الشاشات، ومرة على الورق.
ومرات بين القبور، أوزع كتب الضحك السميكة على الأبطال.

عين الطائر

لو نظرت من الارتفاع الذي يحلّق فيه لكان اللون السائد هو عباءات الأمهات في السوق. ولظهرت الفواكه والخضر كثقوب ملوّنة. شاعر بمكنته أن يسمّي قصيدته هذه: الحياة. ورسام سيشتهي أن يكون للون الأسود حركة الأصفر في حقول فان غوغ. سينمائي عجوز سيفضّل زاوية عين الطائر، كما هي، ومنهكة على أن تكون مصحوبة بموسيقى بكائية. سينمائي شجاع سينزل إلى السوق، وينيك الأمهات من الخلف.

أمهاتنا الطيبات اللواتي يسترن الثدي الأسود والثدي الأبيض.
أمهاتنا الأبقار - الأرامل
الهزيلات...
أمهاتنا الصناديق.

عين الإنسان

بين كل رجل وامرأة تحبّه بإخلاص خطر الخيانة قائم. الأمر يعود إلى كوننا حيوانات مطاردة. نحتاج للتوقف قليلاً في زاوية ما لإرواء الظمأ. وهذا ما يحدث - أيضاً - بين كل سماء وسحابة، حين تلجأ الأخيرة إلى البحر. لا تفتح الشباك، انظرْ من ثقب الباب إلى البلاد. هي ترضع في سريرك من ذكور العتمة. هكذا يمكننا قبول الحب واليأس في قرننا هذا حين نضاعف الكراهية والشك. العتمة التي كانت قد اقتلعت عينك اليمنى على نفس الوسادة. لهذا أنت تمطر في المنفى بعيداً، أو أنك المرأة التي تحبّ بإخلاص. لا تطرق الأبواب. تلصصْ، فحسب. ماتزال لديك عين واحدة!

خطر الخيانة قائم بين كل شاعر وعناق.

٢٠٠٦

أبراج الوحدة

إلى عدنان المبارك

أنت من مواليد بيت المخيّلة... على مدار العزلة!

برج القطن

شمس نصفها ثلج. تقطر على حقل نصفه غربان. في بيتك تنتظر طلوع الثعابين. أرض نصفها سمّ. ستغسل وجهك بطرف الجدول عجوزاً، كما ولدت. لديك قلب نصفه هواء. أنت من الذين يفتحون النوافذ على أنها رموش موتى. ينزل الثلج. نصفه ماض، ونصفه برد. تفاصيل قطنية هو البرد الذي سيختفي بعد يومين. تنزل المرأة من هرّة الجماع تفاصيل قطنية. الرجل الذي يسور يأسه، ويشبهك، سيختفي بعد لحظتين. أموات ينزلون من الحياة تفاصيل قطنية. في صدرك طاحونة. عظامك السنابل تدقّ. الماضي رموز قطنية موحشة. تنزل على المائدة. رغيف نصفه رماد. رماد فيه ثقب، هو كل أنت.

برج القمل

في قلبك حشرة. أخوتك القتلى خرجوا يبحثون عن الموسيقى، وأخوتك الصيادون تاهوا. تتنفّس بصعوبة منذ أعوام. منذ أن دلّوك على باب الخوف. تمشّط أصابعك كَمَن يمسح خنجراً، وتحكّ قلبك. يكرهك الليل، وتكره النهار. ستحصل على قارب من دون نهر. الحشرة التي في قلبك مجداف وحكمة. تهديك المرأة التي تحبّ نهدين وشرشف. أنت تريد مكنسة. كم غرفة في قلبك. واحدة تقطن فيها القملة. وأخرى موصدة قبل مجيئك. ثالثة تطلّ على البحر. ورابعة من دون سقف. تبدأ بكنس التي تبيض. تدخل مدار المأزق. في الحلم ستشاهد رمانة منخورة حتى الأبد. الرمّانة قلبك. تبيد القملة. فيدخل البحر عليك. يا عش الخيبة!

برج الكأس

تشرب من سرّة في بطن الكلمة. سرّة طينية. وتخاف الكلمة. تظنّها فماً مسموماً. أنت من هواة المؤامرة. لا تأكل مع رجل مطمئن، ولا تعانق صديقاً. لا تضاجع امرأة، تفرش أسنانها قبل القبلة. ترتاب حين تمطر السماء، وأنت نائم. تعتقد أن الأشجار التي تصطفّ ببرود على حافة الرصيف جواسيس نباتية. الأغاني الشعبية علب سردين عفّنت عن قصد. تصلك هدايا مغلفة من المجهول. كؤوس فارغة. أرقام الحظ هي الرصاصات الثلاث التي تحتفظ بها في الدرج القريب من الوسادة. هل تأكدت أنك لن تحلم الليلة بطعنة مسرحية. تغتالك كأس على هيئة خمسة أصابع. يدك الفخارية. شراب القيح.

برج الساعة

الوقت قلادة من قشور. الرملية تسميه نفاذ؛ المائية على أنه لا يمسك؛ المعدنية تلوكه، وتتفّ. دماغك ساعة حلمية. تقيس على كمية النزف. عاهرة رصيف تخمّن ليلاً من معطفك الذي يقطر، إن الوقت تأخر. مع خيط الفجر الأول يدخل الشيطان سريرك، فيعرف أنك تحيض، والوقت مبكّر. تفتح كتب التاريخ، وتقرأ لهم فصلين من: أسطورة الإنسان كأحمق. فيكون الوقت خزياً. حين تبتسم، تنزف خلف أسنانك ثلاثة وثلاثون سنة. حسب الثواني التي تتجمّع حبات مطر على زجاج دماغك، الوقت لا يضيع. يتراكم لصنع الفزّاعات. يقولون إن الله ساعة أليفة تنبض بصمت. كم الساعة - إذن الآن - في أمعاء المقبرة. أنت من مواليد بيت العظام.

برج الحرباء

امرأة عارية تطرق بابك في الصباح الباكر. مغسولة بالمطر والتبغ. تدخّن شفتيها المبلّلتين. هي تدفع رائحة من بين فخذيها، وأنت تدفع أول قطرات المني. اللحظة بالأسود والأبيض. ألوان الجسد الزيتية تسيح دون أن تثبت في عين الزمن. تختفي المرأة، وتصبح بلون السرير. تغوص خلفها. تخرج، وفي يديك كومة من الزجاج. الحزن طاولة خشبية نظيفة. حكمتك لكل يوم. فوق الطاولة حرباء. تطعمها من دمك حبّات عباد الشمس. أخبار فصامية في الطريق إليك. الحرباء امرأة عارية معجونة بالتبغ والمني. لست من الذين توهّموا طويلاً. لكنك تنسى رأسك في سلة المرارة، كلما لمست حلمة الخواء.

برج البوصلة

تحبّ الطرق الترابية المهجورة. تقول إنها أثر الحكايات. غجر ورحيل وقطّاع طرق. الذين هربوا، والذين عادوا حقائب جلدية. أنت ستنتظر. لا تدري لمَ عليك أن تذهب، أو لمَ عليك أن تعود. أنت حقيبة مائية منقوش عليها سمكة. تفكّر أن تزرع نخلة، وتربّي سعفها بدل الجنون. يسرق منك الزمن طعامك المذاب. الشكّ ينبش دماغك بمسحاة حفّار القبور. في الربيع القادم سيموت لك أولاد قبل أن يُولدوا. أنت عقيم مثل السعادة. لكنك تجيد السباحة. النقاء الذي تدّعي هو سبب البثور الخشنة أسفل عينيك. تتّجه صوب الظلام. الواقع صدأ البوصلة، والحلم فصامها. يبتكر الوجع سبعة متاهات. واحدة تؤدي إلى الوجع من جديد. وستة دوار.

برج التمساح

الجزع ملابس سميكة، تستر بها عورتك. يقول لك رجل يشفق عليك أن تخرج في نزهة؛ لئلا تختنق. ربما للحديقة العامة. الرجل يحب أن يأتيك من الخلف - أيضاً - من فرط الشفقة. في الحديقة، تلتقي بتمساح عجوز. سيروي لك ملحمة. لا تكترث للأحداث التي أودت به إلى المصطبة. في كل سنّ مفقود صرخة ضحية. من الجزع تنبت أسنان الحجر. أنت تشبه طفولة التمساح. كان لا يقوى على عضّ سمكة. أنت لا تقوى على مضغ خيبة. الجزع شيخوخة الجلد. انفراط الرغبة. ذكريات ورقية عن آخر وأول افتراس. ماتزال لديك سكاكين، لم تنبت بعد. للبكاء والطحن والنسيان. أنت كرسي بسنّ واحدة.

برج الفأر

تجيد الاختباء. تتذمّر. تدّعي الزهد. تقرض من طرف الورقة، وتقول إنك تكتب قصيدة. بدل اليأس، ينبت لك شعر طويل من المؤخرة. كدتَ أن تنتهي في مصيدة أكثر من مرة. الشعر هو أن تسلق في ماء ساخن. تكذب. في جيب قميصك حجر ثمين. سر يفسد إذ ما لامس الهواء. عندك تسعة وتسعون اسماً، لا يمكنك أن تثبت واحداً. الجدار ورقة شاهقة تهرول في هامشه بحثاً عن فكرة. أعداؤك حيوانات وبشر متنكّرون بجلود حيوانات. تطوف الليلة في أرجاء البيت. تلعب مع الخوف لعبة الحبل. أنت تقفز، والحبل يلتف. يسقط السرّ من جيبك. يتدحرج. تحتضر. الحجر يلمع. رعبك الثمين.

برج الخيط

قررت أن تكتب شتائم غاضبة للذين نسوك، على أمل أن تتذكّر أسماءهم. تبحث عن عناوينهم في دفتر أبيض. تعثر على خيط. ذاكرتي كيس مثقوب..، وتلطم رأسك. يعزفون في الساحة لحناً جميلاً. تشتهي أن تعرفه. تدخل نهايته في الكيس، وتخرج. يبقى من اللحن خيط ماء. لا تتذكّر. اللعنة. خيط الماء هو النسيان. في الليل، تدقّ صورتك الفوتغرافية عند البحر. تصغي للمطرقة على المسمار. آه... يشبه صوت جرحك في الحرب. هل تتذكّر؟. تدخل الصور من الكيس، وتخرج. خيط ماء. تكتب يعني أنك تتوغّل في النسيان. عنكبوت مريض، ينتحر في الذاكرة.

برج النار

تواؤمك كل الأبراج. فصيلة دمك تتنفّس في الخذلان والسعادة. تشبه الجنود، وأنت تعلّق خوذة اللامبالاة. تمدّ لسانك في فم المرأة من أجل أن تبرد. الغيمة التي تحترق في سقف الغرفة هي بخار الأرق. تشتري من الدكان دبابيس وصوراً ملوّنة. تعلّق على لحمك حين تستقبل ضيفاً. تكره وتحبّ زيتاً، لا يعينك. يصلك الحطب عبر الليل مغلفاً بالكوابيس. حين تفيق، تستحم مشتعلاً. تأكل مشتعلاً. تقرأ الصحف مشتعلاً. تدخّن سجارة مشتعلاً. تعثر في كوب القهوة على نبوءات الحريق. تضحك مشتعلاً. يحلّلون رئتيك في المستشفى. فيعثرون على ينبوع أخطاء يشبه الورم. تحلم بالفعل الحزين: ينطفئ.

فجر/ ١/١/٢٠٠٦

ثلاثة أثداء

أما أنا وحيد القرن؛ فما أزال أطارد القصائد الخالية من الهواء، الرطبة، الملوّثة ببقع بول المحكومين بالإعدام، وأبتسم في كل يوم مرة واحدة، أبتسم مثل مَن يردد كذبة صغيرة، تكاد تُكشف، وأحلم بثدي سرّيّ كبير، أدخل فيه، وأنام.

مُقلق هو الشعر الفاسد، أليس كذلك؟
بدل البكاء عند أقدام الوردة ،
يمكن تعليق الإنسان من خصيتيه وإشعال النار تحته
وأن أبتسم، هكذا أبتسم، مثل قرد خبيث
حتى الكآبة، الكآبة العزيزة على قلبي، بحاجة إلى تلوين
يقولون لقد أزهقتم روح الشعر بهذه الوسادة السوداء

مع ذلك، أقول يا أخي (بوقار مفتعل وبطيبة أوزة ساكنة):
يمكن بناء رئة احتياطية بكلمتين
كأن تقول: الشمس ستشرق...
وبكلمتين - أيضاً - يمكن تلخيص سيرة العبث
كأن تحكّ كلمة شعر بكلمة موت
لكن اللغة ليست معجزة
إنها جندي افتراضي، يحارب في مستنقع

حين دخل القتلة إلى الحانة، وملؤوا الكؤوس بالدم

أنا كنتُ أستنشق الدخان
أقصد أنني كنتُ أطحن كلمة بكلمة
لا أدري كيف نجوت
أحدهم ادّعى أن زعيم القتلة كان أخي بالرضاعة
كنا نرضع من ثدي مسموم واحد
لكن هناك دائماً لكل طفل طريقين
ولكل إله شعارين: النار الحامية والماء العذب

أما الحكمة الدينية وأختها الشعرية التي تقول إن في الموت سلاماً،
لا تكفي للنوم بسلام...

هل سئمتُم هذا المسلسل الدرامي القديم للغاية: الشعر؟

رموز شعرية أثرية:
- الطمأنينة تهرم، بينما الخوف يجدّد شبابه
- أنت ختم أسطواني، كان الملك يستخدمه للتوقيع على أوامر الإعدام
- هذه الوحدة، هذا النداء الغامض، هذا الرمز وضحاياه؟
- كلب يعوي في لوحة مائية معلّقة على جدار أسود...
- أنا دسيسة ومنديل امرأة في حبكة شكسبيرية
- لمسة فرشاة خبيثة، تظهر ثدي مريم العذراء كطوق نجاة

وأنا على حافة الجنون أيضاً، ومُخدَّر قليلاً مثل قطة تتشمّس
مازلت رقيقاً جداً مثل لسان الذئب
ألعق دم الطير الذي يسقط في يدي
وأدرس الفلسفة والشعر في الأنفاس الكريهة للإنسان

وهكذا... أخي بالرضاعة...

مثل أصباغ الهنود الحمر
لنرسم المزيد من البثور والندب على جلودنا الحربية
الكلمة ملثّمة، تبحث عن شيء ما، لا يروق للعدالة
الكلمة تخبئ إنساناً أخرس
يسقط القناع، فينسكب الرمز مثل سائل بارد أحمر

لا أطالب بشيء، أريد طفولتي...
حين كنا نقول: امرأة بثلاثة أثداء،
اثنان حليب، وواحد يصبّ الشاي
وكان الأطفال المهذّبون للغاية،
يفرّون من صورة أمّهاتهم المخترعة
وكنت أنمو مثل غصن أعوج...
وكانت شجرة العائلة تكافح في كل الفصول
وكنت من دون أسنان مثل حشرة سامة

أنظر، هذه هي السماء!
ذلك الرمز المعلّق بالمقلوب كغيمة
هذا الخفّاش الموشوم على يد الإنسان

هذه الحقيقة التي تتدلّى مثل ثدي فارغ

هلسنكي - ٢٠٠٨

حشرات ووقاية

ضحك

لا تخلو حياة من ضحك. ضحك حقيقي أبيض. وأكثره بياضا هو ما نعثر عليه في مصحات الأمراض العقلية. ضحك نابع من القلب. حين يهاجر القلب إلى جهة والدماغ إلى أخرى. حين تنفصل مضخات عذاباتنا، وتحلق بعيداً عن شراكة العواء.

شجرة

في جزيرة تقع في المحيط الهادي. ويقال إنها نفس الجزيرة التي وصلها السندباد، وقصّ عنها حكاياته العجيبة. توجد هناك شجرة، تقتات على البشر والحيوانات. سكان الجزيرة يؤمنون بأن أرواح أجدادهم وآلهتهم تنام في أوراق هذه الشجرة. تلفّ الشجرة فريستها بأغصانها، وتلتصق الأوراق على الجسد، ثم تمصّ بشبق إلا أن تترك الفريسة هيكلاً ناشفاً من دون قطرة حياة واحدة. السكان يعبدونها، ويقدمون لها القرابين. كلّ عام يهبونها جسداً. اختيار الضحية يتمّ عن طريق الحلم. كل مَن يحلم في نومه بأنه واقف تحت الشجرة من الأهالي، عليه أن يعترف بذلك إلى كهنة الجزيرة. ومَن يخفي هذا الأمر، فإن لعنة ستطارده طوال حياته. لهذا كان الحالمون يتقدّمون طوعاً، ويهبون أجسادهم لجوع أسلافهم وجوع الآلهة. هذا تعريف مكثّف، ينطبق على شجرة الأحاسيس الملعونة في بدايات كل منفى. ومع تقادم الزمن، يتحوّل المنفى إلى دولاب هواء من السعادة. إلى غفوة لذيذة على شاطئ البحر. بعد مرحلة الشجرة التي تشفط.

قاتل

على كل رصيف يمشي قاتل. في كل بار. في الجامعة. بين العائلة يجلس. في حديقة الحيوانات يداعب رقبة الزرافة. على الشاطئ يحدّق في مؤخّرة العجوز الميتة. في السوق يبيع التفاح. في الطائرة بين المسافرين. يصلّي في الجامع. على المصطبة يقرأ صفحة الوفيات في الحديقة العامة. قاتل في كل زاوية. صديقك الذي مات قاتل. الأمهات اللواتي يرضعن الأطفال، يختبأ قاتل ما خلف كل هذا الحليب. بين طيات هذا الشارع يكمن ألف قاتل. بين المرأة التي قالت أحبك وبين المرأة التي قالت إنك غير موجود. امرأة قاتلة. يبقى أنني أحاول أن لا أقتل قبل أن أتمكّن من غرز السكّين في خاصرة مَن أطلق عليّ الرصاص. وإن لم يمت. يكفي أنني سأحلم في موتي أنني تركته ينزف. بل على الجميع أن ينزفوا، ويتذوّقوا طعم الرعب والخيبات، وأن يتعرّضوا للخيانة بأكثر من طريقة، وعلى فترات زمنية متعاقبة، وأن يغرقوا في نهر، وأن ينقذوا في آخر لحظة استسلام، وأن يروا الله على هيئة عقرب أصفر، يدبّ فوق أيامهم، وأن يقتل لهم أطفال وأمهات وعشّاق، وأن يقرؤوا القصائد التي لا تُعنى سوى بصبّ الزيت على النار. القصائد التي تفتح رقبة الحياة من أجل دم الحياة. الكلمات التي لا تُقرأ إلا على ضوء مشنقة، كلما أراد هذا الكائن المريض الهرب من التعاسة إلى الطمأنينة. أن لا يتبقّى منفذ، ولا خلاص. سوى بالرضوخ إلى هلع: أن القاتل يشرب الشاي، ويبتسم اللحظة على طاولتي. القاتل يمشي ورائي

شاعر

أتعس ما في الشاعر هو مرض يجيده أغلب الشعراء. التظاهر بالموت كلما شعروا بالخطر. ينقلب الشاعر على ظهره في الأزمات، ويدّعي أن قلبه توقّف من الذعر، ولا يمكنه المواصلة. وحين تبتعد الحشرة أو الحيوان المهاجم. تعود الحشرة التي تصطنع الموت إلى الحركة، وتدبّ فيها الحياة من جديد. أما حشرة الخنفساء (الطقطاقة)؛ تلقي بنفسها بسرعة على ظهرها، وتخرج مفصلاً من صدرها، يُحدث صوتاً. تظن أن هذا الصوت قذيفة من الرعب تدافع بها عن نفسها. وتبدأ بتحريك جسمها، وتهزّه بقوة إلى الأعلى والأسفل. لكن جميع القصائد الصادرة بهذه الطريقة هي مجرد وسائل دفاعية، أكل وشرب عليها الزمان. ثم إن القصيدة ليست حشرة تصطنع. القصيدة انتحار.

سر

للتخلّص من النمل، وجعله يهرب. رشّه بالملح، أو ماء به صابون. من جرح كذلك. لتجنّب عثّة الملابس من خلال تخزين القمصان في مكان بارد وجاف. من ميت نحبّه في قبر بنفس مواصفات التخزين. في المطبخ حين تقومين سيدتي بتحضير اللحم، وتقطيعه هناك حشرات طائرة. إشعال شمعة قرب اللحم قبل الشواء تجنّبه الحشرات. وحين تفكرين بلحم زوجك، شمعة أيضاً. البعوض هو فكرة من خلال استشعاره الكيميائي، واستخدامه الرائحة لتحديد مكان طاولة غذائه. ومنها رائحة أوكسيد الكاربون الذي يخرجه الإنسان في أثناء الزفير. كلّ مَن يعيش، ويتنفّس على كونه نبتة بعيدة على سفح جبل مبهم. يكون درعاً ضد لسعات الحياة الصغيرة. يحافظ على دمه. يهب الوجود وجبة كاملة. لسعة العتمة عزيزي الفريسة.

وقاية

الجميع سمع بـ: الوقاية خير من العلاج. تكون الوقاية الأولى بامتياز. إمساك الجسد مثل زبّ الصباح. وإفراغه دفعة واحدة من الأحاسيس الزائدة. مع رعشة لذّة التبوّل. ومن هذه السوائل الكريهة يمكن إفراغ: الإحساس الأمومي الذي نتعامل به تجاه الكتابة. الإحساس بالجدوى. كل أصناف أحاسيس أحلام اليقظة التي غالباً ما تمدّنا بطاقة التشبّث. الإحساس بالحواس. كل تذوّق وإبصار وإصغاء وشم عليه أن يتعطّل. وأن لا تبقى غير حاسّة حيوانية واحدة في الجلد. لئلا تختفي نعمة الحك، ونحن نفرش جلودنا المسلوخة تحت شمس الصباح بعد التبوّل بالتأكيد. راجع إرشادات الوصفة جيداً. وأبعد هذا الدواء عن متناول النساء والأطفال والرجال الطموحين. شكراً على هذا اللقاء التلفزيوني القصير.

لسان

أشرب الماء كثيراً هذه الأيام. أحاول أن أقلّل من أهمية الضوء. أريد أن ألاصق روحي. أريد عتمة، أستل منها ضوءاً. وقمتُ هذه الأيام ببعض المحاولات للتقليل من أهمية الذاكرة دون جدوى. أريد أن أتقدم في الحاضر مثل جندي ملطّخ بدخان نهاية المعركة. أحلم بهزيمة السخام. ومرات أنطّ من الفرح، وأنا أتسلّق أرصفة الشوارع ليلاً. مثل نيوتن، أصيح: وجدتها!!

الهزيمة قفل. إغلاق محكم للسان الأمل المسموم.

كل كتاب عملة ورقية بوجهين

كل كتاب عملة ورقية بوجهين:

المعنى المتخيّل / اللامعنى المنقوش.

كل الأفكار عملة هوائية، يطلبها المتسوّلون في قاع البحر.

كل الرغبات عملة صدئة، يرفضها الزمن.

كل الحياة عملة من نار، في جيب رجل، من ورق.

كل الموتى عملة من رماد.

كل الأمطار عملة تساوي قيمتها عملة العطش

كل بضائع الحروب مقابل عملة الدم الذهبية

كل ما نشتريه بعملة الخوف ثمين مثل تحفة سرّيّة.

كل شجرة عملة موفرة.

كل دكاكين الخير يمكن شراؤها بعملة الشر.

كل بنوك الوحدة مكتظّة بعملات اليأس.

كل جيوب الحبّ مثقوبة تسقط منها عملات ثلجية.

كل ثروة الأحياء عملة رملية، تتناقص بفعل بطالة الليل والنهار.

كل الأحاسيس تذبل في بورصة العمر.

كل الأمل مرهون بانتظار عملة غير مزيفة.

كل الإفلاس في سوق الحياة.

كل رجل وامرأة يتبادلان العملات في السرير.

كل السعادة عملة في كفّ طفلة جائعة.

كل إنسان عملة غامضة.

كل الأحلام ترنّ مرتين مثل عملة تسقط على بلاط الروح.

كل ولادة عملة تسرقها المقبرة.

كل هذه القصيدة عملة منقرضة.

كل حياتي عملة مثقوبة، أعلّقها في رقبة اللحظة.

كل شكّ عملة من ماس.

كل خزائن الأرض، ينهبها العبث.

هلسنكي / ١/١/٢٠٠٧

لم تكن الزجاجة في مشكاة

عثرتُ على هذه الورقة في زجاجة نبيذ فارغة، وصلت من البحر. عثر عليها قبلي صياد، لم يحالفه الحظ! كان يتكلم الفنلندية. أما تلك الورقة الرطبة؛ فكانت تحتوي على خربشات تلميذ، أُصيب بحمّى مفاجئة، وكتبها بلغة عربية مكتظّة بالأخطاء النحوية والإملائية! حصلتُ بدوري عليها عن طريق البحر أيضاً. كما يبدو فهم الصياد مغزاها الذي لا يهم أحداً، وأعادها إلى البحر. أنا لا أتكلم أيَّ لغة منطوقة. أنا أُطرش وأخرس وأعمى. لهذا نسبي مجهول. ولهذا - أيضاً - لا يمكنني التعرف الجاد على الأخطاء والكلمات في هذه الزجاجة، ولا حتى الإيمان بها. إنها مجرد صدفة غير ضرورية. أما الصياد الفنلندي؛ فهو محظوظ حتى من دون أن يصطاد سمكاً. إنه حارس الطبيعة المخلص. أنا مَن سلّم هذه الورقة للكاتب الذي نشرها باسمه. التوقيع: رجلٌ ما حُرِمَ من أخطر الحواس.

....

لا تعتدوا على الحقائق. دعوها مبهمة. دعوها تذكّرنا بالمهام المستحيلة. قدّروا مجازفة الوجود المرة. إننا نهلك، أيها الطيبون.

سامحوا أنفسكم. حافظوا على المطبعة والمزرعة والخمور. وبعض البيوت الدافئة. حافظوا على الدماء التي تهرق دون ثمن. دعوها تؤكّد على الأساليب. طريقة للتقبيل دون لسان. طريقة لصيد الفئران طرق تخفيض الوزن. طريقة للقتل وأخرى لتعلّم اللغات.

(الحقائق ليست طرقاً، ولا هي مصابيح).

طريقة لتنظيم المقبرة من جديد. طريقة سحرية... دموية... واقعية. طرق شعوذة. أغلب الطرق، مقابل القليل جداً من الحقائق. دعوها مفتوحة البطن مثل سمكة خرافية.

****

أقرّوا

بـ (حاجة إلى نياكة جماعية).

اكتبوها، وغنّوها

أقرّوا بالحاجة إلى كل أشكال القذف

قذف حر..... قذف مر .....

قنابل ..... أمطار..... مني ..... ضفادع ..... حمم ..... مني ..... حروف ..... عظام ..... مني ..... دم ..... مني ..... مني ..... مني ..... حيض ..... مني ..... مني ..... رائحة الله ..... ثلوج ..... مني ..... مني .... مني ....

****

تدخّلوا لمنع الصراخ؛ لا كدروع وساسة، أو خطباء. تطوّعوا في حرب لانهاية لها. كونوا أوفياء وشجعان. احملوا البنادق. صوّبوا الفوهات. أطلقوا على رؤوس الذين يصرخون.

****

طوّقوا البشاعة بسياج وحرّاس. لا تتركوها تمرح في الشوارع مثل سيارات الإسعاف

إسعاف

إسعاف

إسعاف

إطارات تحترق..

النجدة!

****

وقّعوا

لن نخسر، ولن يربحوا. وقّعوا على المقبرة. وقّعوا فوق المريض. وقّعوا في الأرحام... تحت المجذومين في كتب التاريخ. وقّعوا بسهولة وخفّة، بين الضغينة والحب. إننا آسفون أيضاً! وقّعوا طرف الوصية، لا تنسوا شروط الميراث. وقّعوا قبل أن يصل الضيوف الجدد. وقّعوا خلال حكاية أبدية من دون مؤلف أسماءكم. الأيام.

لا تنسوا الخراء والساعات. استخدموا الأصفار والابتسامات، فحسب!

****

منقّطة. منقّطة هي الروح. بحروف صوفية. بحنّاء. ببخور. منقّطة بالماس. بالبراعم.. منقّطة روح الأسير. مَن زُجّ خلف قضبان اليأس مرّتين. في الصحو والحلم.

****

الذهب

الذهب، أيها المغفلون...

اقرعوا الطبول. نادوا على القتلة والجائعين وأسرى الزمن والأرامل والأصحّاء أن يفيقوا غداً بكرامة. إننا ذاهبون لجمع الذهب! أفيقوا قبيل أن تشرق الشمس. نحن ذاهبون لنبش المقبرة!

العظام

العظام، أيها المغفّلون...

(حلمتُ بأنني مجنون من القرون الوسطى، أهذر مع شلّة من قطّاع الطرق النائمين).

****

كلّ مَن تقيّأ، وهو يكتب. أنا أدرك أنه بدأ يندم. كان يعرف أن عليه أن يكفّ عن الكتابة منذ زمن، وأن يتفرّغ لقتل الوقت بطريقة صحّيّة. كأن يشتري شجرة، أو يبيع حبّ عبّاد الشمس على قارعة الطريق. حين تقيّأتُ البارحة،

استعرتُ مظلّة عجوز ميتة من دكان بيع الحاجيات القديمة. كان كلّ ما في الدكان يصلح لأن يستبدل بالكتابة حتى ملابس الموتى، المكوية الآن جيداً، والمعلّقة عند بائع العتيق...

****

تواضعوا

خذوا حمّامات باردة للتخفيف من سخونة الأدمغة. لا تبالغوا... شوارع المدينة المحترقة هي جثث أقلّ قيمة بكثير من نفائس المآسي. قبل أن تبصقوا في وجهي، افتحوا كتب الذئاب. قصصها المسلسلة في حلقات. كفّوا عن التباهي بدموعكم التي تصرفونها في الشعر والبارات. اسمعي، يا أمي، أرجوك، اذهبي، ومارسي العادة السّرّيّة، اسكبي دمعة كثيفة مع شهقة. حتى أنت، يا أمي. لا تعلقي شمّاعة الدموع المقرفة على تاريخ قلبك المفطور. أنت بمساس الحاجة للجرح المفتوح بين فخذيك. مهما كلّف الثمن. أرجوك. خذي بائع الفاكهة. إنه مناسب. ويشبه أبي الذي كرهت بدلته العسكرية قبل أن يموت. اتركوا حنفية الدم مفتوحة. أحدهم، وليكن الشيطان وأبناءه، يريد أن يُنهي ظمأه. حنفية الدم هذه، لغسل الصحون... الذنوب... الأخطاء... المنافي... الكتب حنفية للوضوء. حنفية للرعب. البحر بحاجة إلى أن يسرب غرقاه. البحر بحاجة إلى أن يضخّ دخانه. البحر بحاجة إلى حنفية.

****

عن الكتابة للمرة الألف. لن نكتب على طريقة ما تشرحونه من أساليب جوهرية للكتابة والمعاصرة. سنكتب مثل العميان. مثل المخصيّين. مثل العباقرة. مثل الحلاقين. مثل القوّادين. مثل الحكماء والطيّبين. سنكتب بالبظر والحبر والضراط. سنكتب ما يحلو لنا. مثل الأنبياء ومثل المعدومين. سنكتب بكل السبل ماعدا ما تشرجونه في نظريات وأقفاص. سنكتب بضلع امرأة محروقة. بزيت المخيّلة المتفحّم سنكتب. لن نكون معاصرين. لن

نكون كتّاباً، ولا شعراء، ولا صحفيين. سنبقى ذئاباً طليقة. ولترتعدوا هلعاً على خرافكم ونسائكم!

****

لو شاءت الصدفة، ووجدت نفسك تعبر حدود بلدك بطريقة سرّيّة. تأكد أنك لن تتوقف بعدها عن العبور. ستعبر على خيول ثلجية من دون امرأة. ستعبر ذاكرتك حدودها. وتكشف لك عن خبايا وأسرار، وكأنها لم تكن لك. ستعبر من فوق الأصدقاء. الواحد تلو الآخر. تتصفّحهم. تصفعهم. تبكي عند أقدامهم. تحرقهم. ستعبر حقول فان كوخ الصمغية. سيلتصق بقدميك عشب ذهّبته شمس الوحدة. ستتقيّأ، ثم تنهض. وتشرب من نفسك مرتين. ستعبر من آخر طرف في حياتك الماضية إلى حياتك الجديدة التي بناها الماضي بعَرَق جبينه. من دون ماض نحن أخطاء مضاعفة. وحدها الأشباح والسكاكين القديمة والبرك تصلح لنشر غسيل الروح فوقها. ستعبر مع السحب؛ لتمطر على البسطاء الذين هدّ البحر بيوتهم. ستغسل لهم قمصانهم الطينية. وأشلاءهم التي ضُمّدت بأثوابهم الفقيرة. ستعبر برفقة الشياطين؛ لتسطو على النساء اللواتي يهتززن في الأسرّة مثل فوهات ستُقذِف. ستجمعون الحمم والأعشاب المحترقة وماء يغلي. ستعدّون مائدة، وتثملون. ستعبر الأكاذيب. الجسور. ستعبر من دهليز الخوف إلى دهليز الاستسلام. ستعبر حتى تتفتّق مصارينك. حتى تكفّ عن الحك والنحيب. ستعبر حتى تُصاب بعمى الألوان.

****

تخيّلوا أننا لم نبن المكتبة. أننا من دون كل هذه الذاكرة الشعرية والفكرية والمبهمة. تخيّلوا لو أن المكتبة احتوت على خمسة تعاليم مقدّسة فحسب: (افترس. نم. أفق. تغوّط. اعدُ). لكنّا وفّرنا الحطب الذي أهدرناه في فرن الحكاية. لكانت الحكاية من دون ندب ونواح. من دون حبكة. ومن دون بداية أو أضلاع. لكانت تستحق أن تُعاش من دون أمل. بهلع وجوع. ومن دون تواريخ وأنبياء.

****

أصدقائي، أصدقائي، أصدقائي

آه، أصدقائي

لا تتفرّقوا، ولا تتوحّدوا. جلدي فقط. بأصابع حانية، انزعوه.. مَن لي غيركم؟!

أصدقائي المشطورين

أصدقائي المسمومين

تحية!!

لعيونكم ... لدمويّتكم

****

وأولاً أنت ...

فقط افتحي لي عريك كقوسين من النور. أدفع من أجله، لا عرق اللهاث وطقطقة العظام. لا، لا...

أدفع من أجله صراخ التاريخ المقلوب على نفسه. صيحات الجنود. أدفع ثلاثة أطنان من الحشرات المدغدغة لحديقة التاج. بظرك المقدّس. المبجّل. الحاكم والحامي. سورة الرحمان. فرسان الطاولة المستديرة. وأمير الغاضبين. أدفع وأدفع حتى تُصاب الأرض بالإفلاس. أدفع ثلاثة كواكب، يُفترض أنها على قيد الحياة. أدفع هزّات الأرض التي لم تحدث بعد. أدفع قَصَصي وحزني وأظافري وسجائري وجبني من نضوب فحولتي. أدفع كل قرود الموسوعات الملوّنة. أدفع أثمن ما أملك... القصائد التي أحلم بأنهم سيكتبونها.

****

تمرّغوا!!!

****

سأتذكّر حكمة دينية قديمة: الدود. سأتّهم، بالخطأ، إحساساً أسطورياً مثمراً: السأم. سأحاول تعريف المرأة: تفّاحات قطنية. سأعود إلى تشغيل

أسطوانتي: العدم. سأستبدل جلدي الكلاسي: روايات العذاب الفخمة. سأطبّل للعصر: نياكة... نياكة... نياكة. سأعدّ نفسي موافقاً على السينما: ألعاب نارية تافهة. سأعدّ نفسي موافقاً على النصوص القصيرة: ألعاب نارية حامية. سأجلس عند بائع البرتقال: الليل. سأقطع رأس ذاتي: الأفعى. سأجلب للبلاد طاعوناً وغزاة: انتماء القرود. سأنتحر في الحلم، وأضحك: جبان. سأطحن لهم الحنطة، وأرشّها على ترابهم: الموتى. سأقصّ شعر مجنونة نائمة: الغيمة. سأعشق الحروب: التي يريدون لها السلام. سأرجع عن كلامي عن المرأة: تفّاحات معدنية. سأتعفّن: غصن. سأشعّ: وردة سوداء.

****

يا له من حزن!!

يا لها من كراهية!!

حين تكتب وتظنّ أنك حارس غليظ القلب، تسهر على راحة حديقة الحيوانات. من أجل الفراء والخبز والدم والخراء. يا له من إرباك وحنين. يا له من صراخ مكتوم.

****

الرسالة ستصل إلى الأبد عبر زجاجة نبيذ فارغة. لم يكن ذلك دم المسيح. إنها أنفاس المحتضرين. سوائل بالأسود والأبيض. شواهد وأغلفة وعباءات ورصاص في كل الاتجاهات. ماء عجينة الورق. ماء عجينة اللحم. كحول الصمت والرذيلة. عصير الموت. سموم الحياة...

****

تناسلوا. وعلى الأرض والسماء السلام!

TIILIKKA / فنلندا / ٢٠٠٦

البسطاء

ماذا يفعل البسطاء؟
يعيشون حتى تشتمهم كتب الشعر
ماذا يفعلون بالكتب؟
يعرفون أنها تشتمهم
ماذا يعتقدون؟
بالشمس طبعاً
ماذا يريدون من الشمس؟
يفتّشون عن القمل
البسطاء ماذا؟
بسطاء تحت الشمس
البسطاء يمشون
حين يجوعون على أربعة
ماذا يدخّنون؟
يفتحون علب أحلامهم
ماذا ينسون غير الزمن؟
تنظيف أسنانهم
ماذا يكتبون لهم في الصحف؟
الشمس ستشرق
ماذا يطلع؟
البسطاء كالعادة

ماذا ينتظرون؟
أولاد بدل الأولاد في المقبرة
ماذا يفكرون؟
وحلّلنا لكم لحم البسيطة والبسيط
ماذا يكره البسطاء بالتحديد؟
يحبّون الطعام والحدائق العامة
ماذا يتنفّس البسطاء؟
أبخرة الفصول الأربعة
ماذا المواشي الطيبة؟
أنا أسميتُهم في قصيدة
ماذا قصيدة؟
مضاعفة عمل الله على الأرض
ماذا الأرض؟
إذلال البسطاء

٢٠٠٥

الله

النسر من أحبّ الطيور إلى قلب الله
مثل قلب الله
حين ينقضّ من الأعالي
مثل مخالب قلب الله

٢٠٠٥

خادمة شيعية

تحرس قدور الطبخ
تمسح دم العائلة على وجه الباب
تشقّ ثوبها في الشتاء
وترشّ الماء صيفاً فوق رأس جدّها المقطوع
ستنتهي الحرب
حوراء ابنتهم - أيضاً - في السلام
تكنس قمل الأمام
تخبز شعير العائلة

٢٠٠٥

امرأة عربية

الأرض: تدور..
قصة قصيرة: امرأة بلا رأس
رواية: من طفولتها حتى حزّ رأسها
مسرحية: الرأس يتدحرج، الجمهور يبكي، وأخيراً يصفّق
لوحة: رأس المرأة فواكه نائمة في طبق
قصيدة: بلا رأس؛ بلا ذنب، أمدّ عنقي تحت سكّين المقصلة
سينما: حرب عصابات، لا دخل للرأس الجميل فيها
رقص: على حبل مشدود، من دون أمل بالنجاة
رجل: تقطف من أجله التفّاحة، فيتبرّأ منها
مقال: دم المرأة أنقى من دم الرجل ثلاث وثلاثين مرة
عمارة: هرم من الصراخ يسدّ عين الشمس
نحت: رأس رجل قرد على شاهدة قبرها
حلم: الخوف يصنع من رأسها كلب حراسة
واقع: حين تكتب في الظلام جسدها شمعة ورأسها محبرة
السماء: تمطر...
الشمس: لا جديد تحتها...

ذئب الحراسة

ينظرون إليّ في بار يعجّ بالسّكارى بعد منتصف الليل، ينظرون إلى الدفتر الصغير الذي أكتب فيه عنك، أيها الطفل، ينظرون بغموض وتهكّم، ينظرون، وكأنهم لم يسمعوا من قبل بمهنة: حارس.

لا أعرف أيّ قيمة للمكان،
أقدّر الزمن، الذي هو البيت والزلزال
بينما تعشق أنت الأسرة والدروب
أكتب من أجلك، أيها الطفل المريض
أزرع شوكة في إبهامي، وأكتب
عن اصفرار بياض عينيك
أنت هرم جداً، أيها الطفل
أعرف الحكاية: ريشة، ريشة
هويتَ من السماء ممزقاً من دون ذنب
لكنكَ، أيها الطفل بدم يثير الشبهات
أيها الخاوي، يا كبد الأرض التالف
أنت، يا مَن تنتظر عند الغروب بوق النهاية
أكتب عن السكاكين بدل المفاتيح

- باب مغلق، هو تعريف الوجود.

اقتفي، يا طفلاً، آثار قدميك

بيدي أحمل شمعداناً، وأدخل صالة النوم
أبحث عنك وسط أحراش الكابوس
ثمرة فارغة، زهرة مقطوعة العنق
وها هي أصابعك الماكرة من جديد
أنت قريب جداً من السعادة: في بعد تلك النجمة
أنا أعرف الغفران، لكني بانتظار الزلّة القادمة
مثل القتلة، أنتظر بمتعة وترقّب، وإصبعي على الزناد
أيها الطفل الشرير...
أكتب عن الشجرة التي تسرقها
عن النهر الذي تلوّثه
أكتب عن الغموض؛ لأنك حجر في بنيانه
أكتب من أجل أن تصمت
يا دمية الزمن التي أنتصبُ عند مهدها
أعوي من أجلك، يا قبر الدود
أتنكّر بزيّ راهب، وأكتب عن مخالبي التي تشمّ خطواتك
سيطلع الفجر بعد قليل ،
سيعثرون على دليل آخر؛ كي يكرهوا الشعر
سيعثرون على أنيابي مغروسة في رقبتك المكسورة مثل غصن يابس
أيها الطفل المسكين، يا ابن الخراف الوديعة
أفتحُ أحشاءك على قارعة الطريق
لا تنزف، لا تندم، لا تبك
لا تخجل، لا تغضب، لا تحزن
أكتب لك من أجل أن تبتسم
بل اضحكْ. انقلبْ على ظهرك، واضحكْ
ارفس الهواء بساقيك، وأنت ترتعش
ارفس السماء، ارفس الأشباح التي تخرج مما أكتبه لك

ارفسْ، وأنا أمضغ في جيفة لحمك

متْ، أيها الطفل اليائس

متْ، وأنت تحدّق برعب

متْ، فهم قد خدعوك

هم ينظرون إليّ في شارع يعجّ بالأطفال، ينظرون إلى قلادة الأوراق الذابلة حول عنقي، ينظرون ساخرين، متقزّزين، ينظرون إلى دمك، وهو يقطر من فمي. ينظرون، وكأنهم لم يسمعوا من قبل: ذئب حراسة.

هلسنكي، آب ٢٠٠٧

وتدور الطاحونة في أحلامي

أفتح الباب: تدخل، سبعة أيام واقعية، ينقصها يوم للجنون. يدخل طاقم الأنبياء، يقودهم الشيطان بسلسلة ذهبية. يسقط خاتم كافكا، ويحدث بلبلة كابوسية في أثناء تدحرجه على بساط الغرفة المعدني. أهلاً، سيدي، ادخل، أرجوك. بعدها تدخل عاصفة ترابية، ثم تدور كومة من الأشياء حول نفسها بسرعة جنونية كحصان طار عقله بسبب البشر: القلق والسجائر والمني وزرقة السماء ومسامير الصلب والتفّاح والتين والانتحار والبعوض والضحك والقيء والنميمة والحب والحاضر والطين واللغة من دون حروف، والحرب تجرّ خلفها جثّة السلام وعطر الوردة وعطر الشكّ وعطور الرعب بين فخذي فتاة تُغتصَب. خردة معدنية مكوّنة من أصابع أطفال، تدخل أيضاً. هناك شيء مريب، يحدث في الخارج، من دون شكٍّ. ما هذا الذي يحترق في البعيد؟ هل رأى أحدكم شيئاً؟ عذراً على السؤال، أرجوكم، تفضّلوا. يدخل مدير تحرير المياه الصحية، أنيقاً مثل شعراء المهرجانات، ادخلوا، على بركة الله، ادخلي، يا دودة الخراب، واجمعي من دمي حريرك. تدخل شفرات الوجود محمّلة في عربة فواكه عفنة. يدخل الماضي على كرسي متحرّك، يدفعه اليأس بتواضع مريب. يدخل كل شيء. كل ما حملته سفينة نوح. وكل ما سقط من السماء منذ ولادة الألم. عقارب بمشية عسكرية تدخل. هواجس مذبوحة على قارعة الطريق تدخل ملطّخة بالدم والتراب. قبور تدخل محمولة على أكتاف نساء عاريات. ساعات وخرائط حزن تدخل مع سرب طيور مهاجرة. صيّاد يحبّ الطيور، يدخل خلف الريش لاهثاً. يدخل الواقع بعين مفقوءة. الحلم بلا عمود فقري. الفكر محمولاً على نقّالة إسعاف. الفنون جريحة ملفوفة الرأس بالضمّادات. ما تبقّى من الأمل يدخل مسموماً. كل جرحى

حروب المخيّلة يدخلون حاملين رايات بيضاً. يدخل السيد هنري ميللر راكباً حماراً، كان دوستويفسكي. رصاص طائش يدخل من دون استئذان. تدخل التقنية ضاحكة بأنياب إلكترونية. بظر يشتعل يدخل طالباً النجدة. كلاب الحراسة برفقة ناقد. ضيوف خونة يدخلون وابتسامات عريضة على الوجوه. يدخل الفراغ، وخلفه ألف قاتل وقاتل. يدخل حقدي بشكل حشرة. تدخل أشياء أخرى غامضة. يدخل ما لم يكن في الحسبان. تدخل المكتبة حزينة، وهي من دون قرّاء. يدخل رجل، يطارده الرب. تدخل عصابة النوم حاملةً أسلحة كيمياوية. تدخل الشمس، وعلى كتفيها طفل من ثلج. يدخل الوهم، تدخل الحقيقة...

ثم أغلق الباب وأدخل آخرهم.

- ليلة سعيدة، يا حياتي...

هلسنكي، أيار ٢٠٠٧

تعال، أيها الديناصور

ابسط يدك الدبقة، مسّ جبيني
قس درجة حرارة التعب، أيها الموت
لا تجلس بكسل مثل ديناصور في نهاية الممرّ
لا تتثاءب، إنني أراك. تعال، تعال، وداعبني...
عضّ رقبتي، دعني أطبع كفّي على جلدك البارد
اعلموا أنني حين أموت، سأبقى حزيناً إلى الأبد، ومشتاقاً إليكم
مشتاقاً إليكم جميعاً، أيتها الزواحف، أيتها البطّات، أيتها القملات
أنتم جميعاً من دون استثناء، يا عمّال المحرقة
تعالي، أيتها الريح، واكسريني، لقد تيبّست....
الرطوبة أكملت حفرياتها في عظامي، تقدّمْ، أيها الزلزال
أخبرني، يا موت، بأيّ حيلة ستدخل باب قلبي، وتخلع نبضه
أقول لكم بأنني لن أسامحكم،
وإنني سأشتمّ كل يوم تعيشونه من دوني...
ها أنذا أصرخ لاعناً مَن هناك، هل تسمعون؟
أيها الحب، أنت خبز محروق قرب بئر فارغ
أيتها الكلمات التي لا معنى لها، كوني خبز الموت وبئره
تعال، تعال، أيها الإنسان، عانقني قبل أن يحرموني من عطرك
أنت نتن جداً، أيها الإنسان، لكنني سأشمّك مثل زهور المريض
مدّ لسانك، أيها الديناصور في فمي، ما هو طعم لعابك، أيها الأب الوقور

اسمعوا وصيتي حتى النهاية، لا تبكوا قبل أن أنطق بآخر حرف لي
دعوا صوتي وحده يملأ الهواء، دعوه يتبجّح للمرة الأخيرة
أيتها العصافير، خذي حنطة جسدي بدل الدود
إنني أعتذر منكم، أعتذر عن كل بصقة، لفظتها فوق طعامكم
أعتذر لأنني متّ، من دون أن آخذكم معي
تعالي، أيتها الشمس، اضربيني مثل أمّ قاسية
تعالوا جميعاً، وفي أيديكم السياط
تعالوا؛ لكي أتذكّركم، أيتها الكلاب المسعورة
تعالي، يا أمي، وأبكي عند رأسي، فأنت وحدك مَن يبكي مثل الله
تعالوا، يا أخوتي الساديّين
تعالين، يا خواتي المشعوذات
اعزفوا في أبواق كبيرة قرب وسادتي
وانقروا على طبل من صفيح..
حرّكْ ذيلك، أيها الديناصور العتيق
تقدّم، وأنت ترقص كهنديّ أحمر
تعال، وامضغ عظام الأرنب الذي يرتجف تحت خصيتيّ
لا تمطري، أيتها السماء حين يدخل الديناصور
اتركي للشمس مكاناً في غرفتي
خذوا كل حاجياتي، لا أملك غير مسودات حكاية وأغنية
سأعاتب كل الأموات في المقبرة،
على صورهم الفوتغرافية التي نسوها على الحيطان
قلت لحبيبتي: تعالي، نلعب
تعالي؛ كي أُخرج المارد من جسدك، بأصبع واحد
لا تقرئي، لا تمشطي شعرك، لا تعدّي الفطور،
لا تشاهدي التلفزيون، تبوّلي في حديقة الزهور، قلتُ لها أيضاً
وقلتُ للصديق: نخبك

وللشياطين كتبتُ قصائد

واشتغلتُ نادلاً في بيت لصوص وقتلة

وللأطفال قلتُ حزّورة

تشرب من الدم، ويعميها الدخان

البعوضة، كانوا يصيحون....

والإنسان يعميه الجشع، كان جدّي يقول

هذا كل ما كان بإمكاني فعله، أيها الديناصور

تعال، أيها السرير

تعالي، أيتها المدفأة

تعال، أيها الشرشف

تعال، أيها الأب الجليل

- يقال إن نيتشه حين مات، ظهر في السماء ذئباً، وأخذ يعوي من شدّة الفرح...

ويقال إن الأموات يتداولون كلّ ليلة فكرة العودة من جديد، لكنهم ينتظرون أن يكتمل العدد.....

الشعر هو كتابة عن الشعر

ما الشعر إذا؟

الإنسان ميت

القصيدة وحدها تتعذّب

....

في هذا العالم

خزين الغائط

كل إنسان رمز مقدّس

إن كان تعريف الرمز هو الصليب

....

الأشياء الوحيدة التي استطعتُ الاحتفاظ بها من مزبلة حياتي القديمة:

التدخين، إطلاق الشتائم، التفكير بالموت.

التدخين في أثناء الخوف من الموت هو حركة كلاسيكية،

مثل التدخين في أثناء ممارسة الجنس

الحبّ يشبه التدخين: ثقب في الرئة.

.....

ربما سمعتَ أنت أيضاً عن الحياة التي لا يتقاسمها الجميع بالتساوي. ربما لا شعرَ في هذه الحقيقة. ربما أنت أيضا مصاص دماء متنكر في زيّ حمار. ربما بالغَ الشعر الحديث في كره المعنى. وربما الروح خدعة مسرحية ناجحة.

....

بين فخذيك سمكة حمراء

سمكة شفّافة في أحشائها خاتم المعنى

والآن ما الفن؟

هو وجهك حين أمسُّ الخاتم

الشعر مثل هذه الإيماءة

خوفٌ من الزوال.

......

مع ذلك، أتخيّل حياتي، صورة واحدة، لا غير:

- عجوز طاعنة في السنّ تحدّق في ثقب مؤخّرتي

عين الزمن في عين الغائط.

.....

كتابة الشعر سهلة جداً للأسباب التالية:

أن تولد في بيت لا يعترف بالطفولة. أن يخيفك الموتى، وأن تبقى عاطلاً عن العمل، بسبب الغموض وشياطينه. الغموض الذي يلفّ حكاية حبّة البطاطا الراقدة في التراب وحكاية النداءات المجهولة القادمة من المجرّة. وأن يكون لديك واجب حيواني تجاه الحب وواجب إنساني تجاه الكراهية، وأن تغامر قليلاً في حياتك. كأن تعبر النهر مشياً على الأقدام، أو أن تجلس في بئر سبعة أيام.

كتابة الشعر صعبة جداً: من المستحيل أن تمسّ جوهر الشعر من دون أن تهجر الكتابة إلى الأبد.

.....

كل ما يدخل القصيدة يخرج منها

صياح الأطفال، الذئب، حقول الحنطة، الشعر الزائف والشعر الجميل، الكابوس الذي يخنق بيديه النائمين، الظلام الذي يأكل في المقبرة، الحروب،

الشمس المكسورة بحجر طفل، الطيور الميتة، الغائط والحب، المرئي والغامض، زجاجات البيرة الفارغة، المجرة، الريح، وعيون المصابين بطلق ناري...

كل شيء يدخل ويخرج من القصيدة

ولا يتبقّى سوى القصيدة

ممرّ أشباح الزمن

اشتر فيلا، وأنقذ بيتك

أنا أعرف أن بناء البيوت الزجاجية هي السعادة المائية التي لا توصف. هي الخطوة الأولى لاستنساخ أحاسيس طرازية، يمكن الاحتفاظ بها، إذا مارسنا وخضعنا لقبول حيوان الموت الصغير، وتربيته بطريقة جادة، على أنه دجاجة أليفة. ومادام الخير أكثر قسوة وكآبة من الواقع، فأين - إذنْ - شرعية البيوت التي نسكن؟!.

المرحاض:

وُلدتْ سنبلة. واستمرّت ملامحها بالتشتّت، إلى أن وقعت الكارثة. وأفاقت في عامها الثامن عشر، وقد تحوّل وجهها إلى حفلة تنفّس. ويقولون إن الجني الذي تزوّجها في المرحاض كان قد أتى من الهند ناطّاً فوق ملايين سطوح المنازل والمعابد وغيرها، حتى إن صياداً شيعياً من مدينة مشهد المقدّسة، كاد أن يصطاده، لكنه فشل في النهاية. فالهندي كان قد تعلّم على يد ملاك بوذي منشقّ. ربطوها في اثني عشر شبّاك مقدّس. وتوسّلوا بالهندي أن يخرج من ركبتيها. وكانوا قد استعانوا بخبير لغات مهيب ومتبحّر في علم الباذنجان.

أعمدة النور مكهربة. وإشعال مصباح قد يكلّفك حياتك في هذه البلاد المقدّسة. وفي أحسن الأحوال لن تدفع سوى الضريبة عن تهمة عتيقة، حين يكتشفون نيابةً عنك، أن أمك عاهرة، وأباك كان قواداً. هل عليّ أن أهذي طويلاً، يا ولدي، بذريعة أن هذه التهمة هي، على حقيقتها، منشّطة ولذيذة، وفي عام الفيل، سنولد، يا ولدي، يا أعور، يا دجّال؟!.

المطبخ:

جرّية بنت بنيّة. رفسها قبل قليل السيد الوالد (ع) في معدتها، وهي تريد أن تحرّر يده من سكّين المطبخ، أقسمَ أن يذبح ابنتها الوحيدة، إن لم تكف المسودنة عن الصراخ والتعرّي في الشوارع. وذاك الهندي، ابن النعّال، مصرّ على لحس مخّ البنيّة. وأنت يا جرّية، مسكينة أنت أيضاً، فمنذ أن وصلتِ إلى الزقاق الرابع في حي الأهوار، وأنت تعيشين ذليلة بين أعدائك الشيعة. حتى إنهم نعتوك بالسمكة المحرّمة؛ كي يهينوا، ويسخروا. بنت الهايشة... سنّيّة... نعله على عمر... وين رحتي، يا جرّية! والهندي يمارس بوذيّته بشبق موجع في رحم ابنتك الوحيدة.

بيت الله... حوض السمكة! نتسلّل في الليل مع الفيلة، ونبنيه من جديد. من الزجاج الخالص، وشديد الشفافية. وستصير الكعبة، الحجر الأبيض - الأساس لبناء مثل هذه المدن الزجاجية. وحين تعودون من العمل إلى بيوتكم الزجاجية، تروني، وأنا أنيك حبيبتي، فتبتسمون. أفيق في الصباح، أشاهد جارتنا السمينة، تخرّي. فأبتسم. وهكذا نوجد كأرانب برية سعيدة. يا لله... سيصير بيتي كله نافذةً . وبيت الله، وبيوتكم. ونحن كما لو كنا عناقاً مؤلماً ومثيراً للسخرية تماماً، كما هي الحقيقة، بل وأجمل. سيكون هنالك وقت طويل للضحك، وحقل مناسب من الحرية. ولعل الأخلاق ستسقط أخيراً، وتفيض البلاد بالأجوبة. وعن نفسي، سأشتري الفيل.

أسفل السلّم:

تعرّت. ويا عراة، كان جلدها المدبوغ بالأصابع والسياط، يحمل ألف جرح وجرح. تخلع هي قلائدها. واحدة تلو الأخرى. ثوبها، طلسم البركة من رقبتها، القماشة الناعمة من بين فخذيها. حسناً تفعلين، يا زهرتي، اخلعيها، صرختك هذه. تلك القلادة المرة. وطوفي بها بين مسامات الهواء الحرّ. ومثلما تشتهين: أبعد من أيادينا. أبعد من هذه البلاد المشجوجة بالشعوذة والظلام. في أسفل السلم تحرق الزهرة نفسها، بينما يلملم الهندي حقائبه من جسدها المشتعل. ويطير بها، قلادةً.

تسميمُ إحساس جيفةٍ أكبر لذةً ونبلاً من تسميم فأرة. وكتاب منحطّ عن تاريخ الأحاسيس في هذه البلاد، أصبح ضرورة ملحّة.

سطح البيت:

سنة تافهة وموجعة مرّت. ويطيح (ع) في السوق مشلولاً، ويموت. وأنت، يا جرّية ماذا تخبزين؟! تنّورك هذا شعلة محرومين. فختية تحطّ قرب سلّة خبزك، وتحطّ أخرى، ويؤذن باسم الرب. فتركب إحداهما الأخرى. فخاتي، يا جرّية! وعلى مَن تنخين وتتقرفصين هكذا قرب سخام التنّور، وأنت تشركين اسم الله بالنحيب، وجسدك المهشّم بالنار.

الحمّام:

طاسة زهرة الفضية، ساكنة وحارة.

غرفة:

حجر على حجر على مرض. هـذه البلاد المكعّبة محكومة بالغائط والنسيان.

الحديقة:

لو كنتُ ربك؛ لأهديتك المفاتيح والعذوبة؛ كي تقفلي البلاد بصرخة، ونستريح.

- كُتبت في أثناء عبور الحدود التركية الإيرانية في عام ٢٠٠١ -

الفزّاعة

نصّ للأطفال المشوّهين

عمري بضع قطرات من بحر الزمن، لكنني أبدو عجوزاً هرماً. بشاعتي هي السبب. لكنهم يقولون في الكتب إن بشاعتي هي مصدر رزقي وحياتي. فحين بذر أبي أرضه الغامضة هذه، اختار لي مكاناً وسط الحقل، وزوّد رأسي بدماغ من قشّ، لذا؛ يبدو لي ما يحيط بي من حياة هو مبهم إلى حدّ الألم. أعرف بأني مجرّد ذكر ببغاء أحمق، يلوك الأسئلة الباردة نفسها، ويصرخ، وحيداً، جائعاً في قفصه من دون أمل: ما معنى كل هذه العواصف؟ ما هذه الشمس الحارقة؟ لم هذا الأرق؟ ما هي هذه المغامرة؟ يا أبي: حقل جميل وفزّاعة قبيحة غير قادرة على العيش بسلام. كم بودي أن تفهم، يا أبي، بأني لا أقوى على الرضوخ، لما لا يمكنني فهمه، هل أردتني مجرد علامة فزع، تطرد الغربان والأشباح؟! أنا ممزّق، يا أبي، بسبب قبحي وجهلي. ثم ألا يمكنك أن تشتري لي قميصاً أبيض نظيفاً؟. ما هذه الخرقة التي رميتها عليّ، وكأنني شحاذ؟. أنا ابنك، يا أبي، ابنك الذي يحرس بذورك ليل نهار. أنا خائف، يا أبي، أكثر من الطيور التي تظنّ أنني أخيفها، أنا أشعر بالبرد، بالوحشة، أشعر بمرارة ما أنا عليه، يا أبي. لم تترك المطر يبلّل روحي، بينما تنام أنت في بيتك الآمن. لماذا يبزغ الفجر، وتغرب الشمس؟ ما علاقتي أنا بلعبة الضوء والظلام هذه، طالما الريح ستقتلعني في نهاية المطاف؟. هل خلقتني - حقاً - من أجل أن أحرس بذورك؟ أم من أجل أن تحرس وجودك بالسخرية مني؟. هل تعلم، يا أبي، أن غراباً متسولاً من هذه الغربان الكثيرة التي تحطّ على كتفي، روى لي ذات مساء، قصة فزّاعتك التي أسميتها المسيح. كم مصلوباً تحتاج، يا أبي؛ لتفتح لنا باب بيتك المشفّر، ونستريح؟!. كم شيطاناً سيكرع دمي؟!. كم غراباً سيفقأ عيني؟!. ستكبر بذورك هذه،

وتصبح أرغفة خبز، ربما أكون أنا قد متّ، وستولد فزّاعة أخرى للموسم القادم، لكنْ؛ ما جدوى طاحونتك العملاقة هذه؟! ألا يمكنك أن تفشي بسرها لأبنائك الصغار، المتوحّشين، التائهين، المصابين بالوهم والحمّى؟!. لمَ تبدو هذه الحنطة والطيور والحشرات والأبقار أسمى مني بكثير؟! لمَ تبدو سعيدة، تتيه بحريتها، ومن دون ندم؟! لمَ يا أبي جئتَني وحدي بكل هذه المهامّ، من دون أن تمنحني الأمل؟! ارمقني بنظرة واحدة فقط، ولو من طرف عينك، إن كنتَ تظنّ أنني أستحق كل هذا العذاب؟!. أنا أكرهك، يا أبي، وأكره أرضك وفكرتك هذه، وإن كنتَ تنتقم مني طوال النهار، فسأواصل أنا الغناء طوال الليل، سأغني كل قصائد الحقد، سأستعير من الخفافيش أجنحتها، وأحطّ في أعشاش ما تسمّيه خيراً وجمالاً، لن أترك أي فرصة، ولا أخونك فيها، سأتواطأ مع كل أنواع الدود والسحالي واللصوص؛ كي نخرّب أرضك. سأدلّ الآخرين على بذورك؛ ليفسدوها. عليك أن تعرف، يا أبي، بأنني لن أغفر لك هذه العتمة التي ألقيتني في قرارها، من دون ذنب. لمَ، يا أبي، كل هذا؟! أرجوك، أنا ابنك الذي نصبته على أرضك: ملكاً للبشاعة والخوف. تعال، يا أبي، ولنتصالح، إن لم تكن قادراً على إخباري بما معنى الحياة، أفصح لي عن سر صغير آخر من أسرارك التي لا تُعدّ، اهمسْ في أذني فقط: ما هو نوع الطيور في حقل الموت الذي سأعمل فيه بعد الآن؟!

تنّين الشتائم المريض

لتكن اللغة شحماً فاسداً في برميل. وليكن الهدف إيماءة مجنون.

كل دعاة الواقع يجب إبادتهم بالحقن السّامّة وإحراق نصف الحالمين.

رجل عاقل: ما هذا الهراء؟

امرأة طيبة: وقاحة؟

الرجل العاقل ينيك المرأة فوق مائدة الطعام في المطبخ. يسيح المني فوق فتات الخبز. أما الشحم الفاسد؛ فهو لطلاء جدران هذا العالم. لا تتسرّعوا - سنجمع هذا الهذيان بعد قليل في جمل مفيدة - أدوية مفيدة لأمراض القلب والشرايين. جمل صحية، يمكن تناولها في طبق فاكهة بعد أن ينتهي الرجل والمرأة من طعامهما المائي.

الكاتب: يضرط.

الآن إليكم ملخص هذا المسرحية قبل كل شئ:

في الساعة السادسة صباحاً، طرق شرطيان باب البيت. قالا لأمي كلمتين، ثم اتجها إلى باب الجيران المقابل. هُرعت أمي إلى الدولاب، وأخرجت عباءتها السوداء بعد أن أيقظتنا جميعا من النوم. نحن الآن لمَنْ

لا يعلم ولمَنْ مايزال نائماً، في الأول من كانون الثاني عام ١٩٨٥. حسناً، ابتسموا الآن، ودعونا نلتقط صورة فوتوغرافية لكاتب هذا المشهد، وهو في العاشرة من العمر.

خرجنا خلف أمي، نفرك عيوننا، ونتثاءب. خمسة فراخ بأقدام صغيرة خلف العباءة السوداء، وواحد ملفوف قرب الصدر، يبكي، ويريد حلمة الحليب. كان هناك جمهور كبير، يحتشد على أطراف الساحة الترابية التي تتوسّط الحي، الساحة التي كانت تنقسم إلى قسمين في الأيام الاعتيادية: قسم مخصّص لزبالة الحي اليومية، وقسم آخر يلعب فيه الأولاد كرة القدم، وهو القسم الذي يتحوّل - أيضاً - في الليل - بمساندة الظلام - إلى وكر للمراهقين، لتدخين السجائر وشرب البيرة والعثور على أطفال شهوات سرّيّة. لكن اليوم هو يوم غير عاديّ. والدليل على ذلك، أن أمي صامتة لأول مرة في حياتها. جنود فوق سطوح البيوت، يراقبون جمهور الحي الذي استيقظ بأمر صارم. شرطة أمام الجمهور، جيش شعبيّ خلفه، رجال أمن بينهم، وُشاة يراقبون العيون. جمهور وسط جمهور. جمهور داخل جمهور. جمهور خائف من جمهور.

- ما هذا العمود الخشبي، يا أمي؟!

- اسكت، يمة، الله يخلّيك...

مثل عمود أرجوحة العيد، لكنه قصير ووحيد من دون عمود يقابله؛ إذ كيف سيربطون حبل الأرجوحة. خلف العمود وضعوا تلاً ترابياً صغيراً. وصلت سيارة عجيبة، لم أشاهد مثلها من قبل. ما هذا التلّ الترابي، يا أمي؟!

همس أحد المشاهدين: وصل القفص - يقصد السيارة العسكرية الغريبة. مُشاهد آخر خلفه مدّ رقبته قليلاً، محاولاً معرفة إن كان المُشاهد

الأول سيضيف كلمة أخرى بعد كلمة القفص التي تركها من دون أن يضع لها علامة تعجّب، أو استفهام. التل الترابي يمنع الرصاص من الوصول إلى أبواب البيوت في الجهة الأخرى - همس أخي الكبير في أذني. أنزلوا من سيارة القفص العسكرية شابّين. ربطوا الأول على العمود. ثم وقف أمامه خمسة جنود، وأعدموه. بعد أن قرأ ضابط برتبة مهمّة من مكبّر صوتي كلمة قصيرة، أتذكر منها كلمتي: ماء وخبز الوطن، الذي لا يستحقّه هذا الخائن. وفعلوا بالثاني مثل الأول. صفّق الجمهور الأول بحماس، ثم عادوا إلى البيوت لإعداد طعام الفطور تحت حراسة الجمهور الآخر.

صعدتُ إلى سطح البيت، وراقبتُ تلّ التراب. كانوا قد أخذوا الجثث والعمود الخشبي معهم. لم أفهم لمَ أخذوا العمود أيضاً!. لكم تمنّيتُ أن يتركوا العمود الخشبي الذي لا أعرف سبب تعلّقي به حتى اليوم. تبوّلتُ في زاوية السطح، ثم راقبتُ دخان تنّور خبز يصعد من سطوح أحد المنازل. ابن قحبة مَن يدّعي أنه يكتب من أجل الحزن، أو الخوف في هذه الصورة الفوتوغرافية البائسة، أنا أكتب من أجل سيدي ومولاي أمير الظلام، تنّين النار الذي يغلي في معدتي، أكتب من أجل أن لا أهدأ، من أجل أن أضاعف سرعتي صوب المقبرة، وليس من أجل حكمة ما، ولا من أجل التاريخ، ولا من أجل التسلية، ولا من أجل أي غرض أدبي تعس، لكنْ؛ هل تظنون أنني أكتب عن القتل، أو الظلم، أو عن مسرحية الخراب؟! هل تظنون أنني أكتب شهادة في سجلّ الأحياء والأموات؟! مَن؟! أنا الذي قُتلتُ في حروب صليبية قبل قرون، وقُطع رأسي بضربة واحدة من سيف فارس شجاع. أنا أكتب في رواية مهمّة، بطلها تصفية جميع أبطال الروايات والقصص الأدبية. هل تظنون أنني أريد أن ألطم فوق الجثة؟! لقد قُتلتُ غداً بسيارة مفخّخة في بغداد، قُتلتُ، وأنا في طريقي إلى السوق، سأشتري الرز والسمك، سيعثرون على رأسي قرب كيس السمك. قُتلتُ في كهف، في العصر الحجري! أراد أحدهم أن يأكل ولدي. مساء غرقتُ، قتلني البحر، بعد أن ودّعتُ قريتي، جدّتي من الصومال، وأبي من تنزانيا، سينقلب القارب، لن أصل إلى شواطئ إسبانيا

أبداً. قُتلتُ في غزوة مسلمين لبلادي، قُتلتُ برمح طويل وسط سهوب آسيا. قُتلتُ في العام الماضي في يوم الاحتفال بعيد ياهانوس في غابة فنلندية، احترقتُ بحفرة النار التي كنا نلعب سكارى حولها. بالطوفان، شُطبت بلدتي الصغيرة، وقبل أن يدخل جذع شجرة مكسور في صدري، شاهدتُ طفلي يُهرَس أسفل جدار. سقطت قذيفة من طائرة، قتلنا جميعاً في الخندق، طائرة من الحرب العالمية الثانية تبوّلت فوق رؤوسنا. قتلني تجّار المخدرات في كولمبيا بالخطأ، كان يريدون قتل ابن عمّي. احترقتُ في فرن نازي، رغم أنني كنتُ ميتاً حين حملوني إلى الفرن. سيارة فتاة جميلة، فتاة يساوي بظرها عطر الوردة، صدمتني في الشارع، كانت السماء تمطر فوق باريس في ذلك اليوم. أخذوا دمي مقابل دم رجل آخر في قرية أفغانية. قُتلتُ في حرب أهلية، قُتلتُ في ثورة. قُتلتُ، وقُتلتُ، وقُتلتُ، وسأُقتل. قُتلتُ في نشرة الأخبار، قُتلتُ من أجل أن يدوّن اسمي في كتب التاريخ، قُتلتُ من أجل أن أضيع إلى الأبد في زحام المقبرة.. قُتلتُ بسبب الطموح، قُتلتُ من أجل إنسان آخر، قُتلتُ بسبب الغباء، قُتلتُ بسبب طيبتي، قُتلتُ بسرطان الرئة، كنتُ أظن أن تدخين السجائر أفضل من الموت بدخان الوحشة. قُتلتُ وأنا أدافع عن الشيطان، قُتلتُ في صفوف جيش الملاك. قُتلتُ بسبب، قُتلتُ من دون سبب. لكن ابن قحبة - أيضاً - مَن يطالبني بالتوقف عن القتل في الكتابة، عن الرقص مثل مجنون دخل عرساً بالخطأ. ابن قحبة - أيضاً - مَن يسعى للانخراط في صفوف ما يسمّونه: أدب السفلة العالمي. ابن مرحاض مَن لا يتوقف دقيقة واحدة؛ ليسألهم ماذا يعنون بهذا الأدب العالمي؟!. هل هو يشبه النيك العالمي؟! أو القتل العالمي؟! أو الخراب العالمي؟!. ابن قحبة مَن لا يتجرع السم من دون أن يموت!. ابن خنزير ظريف مَن يصفّق في مهرجان للشعر، أو حفلة إعدام!. أما ابن القحبة الكبير؛ فهو مَن يطالب الكتابة بأن تُوقف القتل، أو تُوزّع الخبز، مثل أولاد القحبة الذين كانوا يطالبون أهل المعدوم بثمن رصاصات قتل أولادهم. كيف ستنتهي فورة أحاسيسي هذه؟!. ما الذي كنتُ أريد فعله بالتحديد حين طبعت الكلمة الأولى؟! وهذه - أيضاً - خدعة ساذجة، عدوى مملّة من أمراض الكتابة.

في الحقيقة، أعرف ما الذي أنوي فعله، لكنني لا أعرف - بالتحديد - لم أنا موجود هنا، أذكر أنه كان عندي برميل من الشحم الفاسد، وكنتُ أنوي أن أستخدمه في طلاء جدران الأرحام؛ لكي لا تقذف بالقتلة والضحايا على مدار الساعة، وكنتُ أفكر، إن كان الخارج من الرحم والداخل إلى القبر هو توأم جميع المواليد والوفيات، إن كان مع هاتين الحفرتين كل هذه العدالة والنزاهة والمساواة، لمَ لا تقدر الحياة - هي الأخرى - على النوم بسلام. لم أفرك عينيّ منذ أربعة وثلاثين عاماً في برميل الشحم الفاسد نفسه. لمَ لا تغصّ روحي بعظمة العذاب، وأستريح؟!. من أين لي كل هذه القدرة على التنفّس ومواصلة الضراط؟!. صدّقوني لو كنتُ أملك الموهبة للكتابة، لما كتبتُ هذا الهراء الذي ستكنسه الريح بعد قليل.

............انتهى.............

رجل عاقل: هل من المنطق أن ينتهي النصّ بهذه الطريقة؟! وأين هو العمود الفقري لهذا القرش الكوميدي الذي تريد رسمه؟!

امرأة طيبة: الكتابة هي فنّ الصمت، وليست حنفية هذيان؟!

الكاتب: تباً لك من أحمق، يا سيدي العزيز، نعم، سيدتي، معك كل الحق، أيتها العاهرة، أنا الآخر كدتُ أن أستسلم ذات مرة، كاد أن يطلع برعم الحب في قلبي، كنتُ على وشك الانتهاء من نسج راية بيضاء، كدتُ أن أعتذر من الحياة، وربما أصلي من أجل البشر، كدتُ أن أتصدّق بالكلمات على القرّاء كحلوى صوفية. كدتُ أن أجلس قبالة التلفزيون، وأضحك مع المسرحية. كدتُ أن أكتب قصيدة في الجمال وروعة العشب. لكني ماأزال أُخرج سكّيني، وأمسك برقبة الفكرة. الليل طويل. أدوّن لائحة بأسماء المطلوبين. عدتُ إلى ذاتي. كدتُ أنسى مرارة دمي، كادت الشمس أن تغويني، كدتُ أن أرتكب جريمة شرف ضد إنسانيتي، وأكتب عن الحب -

أنا ابن قبيلة الحقد. كدتُ أن أكسر كأس الهذيان - تاجي ومملكتي وينبوع عطشي. عدتُ إلى ساحة المعركة، كدتُ أن أنسى شهوة إطلاق الرصاص في الهواء:

قضيب مجذوم في فم الزمن. انهيار خرائي من قمّة جبل الله فوق الإنسان الحزين. رصاصة على هيئة فساء مضغوط في جبين أبي المشلول. برميل من الأطفال المسحوقين بهاون فولاذي في ضرس العشاق (ما معنى هذا؟). سحالي منقوعة ببول الشيطان، ومقلية بزيت المحرّكات في حساء الشعراء. ألف طن من البلغم مخلوط بألف طن من حيض ساحرة على لسان مَن يروي حكاية واقعية. ستون ألف مسمار متجمّر في رحم المرأة التي لا تعرف الخيانة. ومئة ألف مسامر آخر في حنجرة الرجل السياسي، ومئة ألف مليون آخر في طيز الكتابة. وجيش من دود المقبرة المهروس بلحم الموتى على أسنان مَن يحلم.

كاد البصاق أن يجفّ في فمي......

عدتُ إلى قرية أجدادي: الكوابيس

الخامسة صباحاً وقت غير مناسب للكتابة

مع ذلك الساعة - الآن - هي الخامسة صباحاً. مطر خفيف. كلماتي على الطاولة في مسوّدة كتابة قصيرة. ربما قصة عن امرأة تصرخ، ورجل يستغرب. على الطاولة زهور مملّة أيضاً، جلبتها صديقتي من حديقة المنزل الخلفية. رواية الجميلات النائمات للمنتحر كاواباتا، أرسلها لي قبل أيام صديقي الشاعر. منفضة سجائر، تشبه دبّابة محروقة. علبة صلصة. مناديل ورقية، في بعضها مسح مني، وبعض طعام. مملحة صغيرة. بقايا رز في صحن، وبقايا حساء في صحن آخر، نُقشت في قعره امرأة عارية تحت شجرة تفّاح. أوراق منثورة. قلم رصاص. ملعقة نظيفة زائدة عن الحاجة. كيس صغير من دون سبب لتواجده. كأس ماء فارغ. كوب قهوة. كأس آخر جميل. إحساس شاهق بالعجز! كلماتي السّرّيّة تحرس دمي. لا أحد يلمسها، خمس عيون زرق فوق باب قلبي، ربما هي حرز ضد الحسد ومحن أخرى... كلماتي الكئيبة، تشعّ بحقد، كماسة سقطت في إناء نار. أما كلماتي البسيطة؛ فهي بنت عارية تغفو على ذراع أمها العارية. شرشف النائمتين بلون البرتقال. لكنني أنتظر الصراخ. امرأة ما في هذه المسوّدة الصباحية، تظهر من الكلمات مثل شبح جريمة في لوحة مائية. تنهض عند الفجر مثل حيوان، أيقظته الاثنتان: المعدة والغريزة التي جاءته منحة ربانية من دون سبب. حيوان بلا رأس هو مثل حيوان يغطي عينيه بقبعة من الدم. كل الصور لهذا الفجر هي لحيوان امرأة. حيوان خرج للتو من رئة المقبرة. تنهض هي من فراشها مسلوخة عن الزمن. ببطء تقف مثل حيوان. يختنق الصراخ في جمجمتها. تنتهز اللحظات المتقطّعة التي تشدّها لوعيها، وتغيب؛ لتجرّب: أن تدفع بصرخة. متأرجحةً بين هذا وذاك، تترك للفجر فسحة أن يدرك بأنها حيوان يعوي من الفتحة التي شقّها في رأسها قاتل بارع. إنها تعوي؛ كي تفيق المدينة فجراً على صوت كلماتي المخيفة. كلماتي نساء عجائز، يسرقن أقدام

الفتيات، ويطلبن الموت من شمس النهار. وفي قصص الأصدقاء عني، كلماتي تضحك. يُلقونها في الهواء، ويتذكّرون. عندها يبقى الحزن معلقاً في الهواء. كلماتي المريضة، تسند رأسها على صدري، وتهذي: أسماك، سعادة. كلماتي المتبقية، لا تكفي لطلب النجدة. كلماتي الأخرى - أيضاً - هي كلمات امرأة تصرخ. بعد قليل، سيفيق الجميع. ساعات، وتبدأ ماكنة العيش بالصرير. رغم أن الجميع متعب. رغم أن كل واحد في جيبه شكوى وحسرة. نشاهد اللحظة من النافذة، ثلاثة رجال يعقدون صفقة. ثلاثة رجال يعدّون السنتات لشراء زجاجة فودكا، وهم يترنّحون من سهر الليل وخمره. ثم مرّت فتاة فوق دراجتها الهوائية، تشبه الممثلة نيكول كيدمان. كم أتمنّى أن أقود شاحنة بنزين تعطّلت فراملها على الطريق السريع، مثلما يحدث في الأفلام الهوليودية. شاحنة كلمات نفطية. ضعْ بضعة سنتات في يد كل واحد من الرجال الثلاثة، واذهبْ معهم إلى الحديقة العامة. ولمَ لا؟ إنها ساعة صباحية مباركة لشرب الكحول. امرأة تصرخ بين ضلوعي. امرأة مصابة بطلق ناري في كبدها. امرأة أمزّقها للمرة العاشرة، ولتستقر في سلّة المهملات. تفوح رائحة كلماتي من سلّة المهملات مثل رائحة براز طفل. كلماتي التافهة تعفّنت. المرأة نائمة في السرير. المرأة الوحيدة هي صديقتي. عليّ التوقّف عن تعذيب الأخريات على الورق. لن تكون هناك قصة، ولا قصيدة. وهذا الصباح بحاجة إلى ثلاثة رجال كحوليين يضحكون في الحديقة العامة. يضحكون في أسفل الأشجار المبتلّة بالندى. لم يخلق الصباح للكتابة، وهذه قضية من قضايا العار أيضاً. لا تستحق الحياة غير أن تُملأ بالمزيد من زجاجات الكحول الفارغة. أوثقُ ذراعي صديقتي وساقيها في السرير، وأكمّم فمها. حين أغتصبها تضحك وتقول: لا تلعبْ في هذه الساعة، تعال إلى جواري. سأضع النقطة الأخيرة بعد السطر القادم. سأضع نقطة من المني على جلد الساعة الخامسة صباحاً. سأضع النقطة، وأنتظر تسعة شهور لولادة هذه الحكاية.

مسوّدة قصة، نسي كاتبها تبييضها...

هلسنكي - تشرين الثاني ٢٠٠٧

لعبة الأحجام

ذات ليلة مجدبة من ليالي حياتنا المتلاشية، قرّر فأر من الصنف السوداوي الشائع أن يضع حداً لحياة الذعر والذل هذه، ويُنهي قدر الضعف والعجز الذي سُجن فيه من دون ذنب. كانت الخطوة المصيرية الأولى هي تحدّي الرب، ومخالفة تعاليمه التي تنصّ على أن يتحدّث كل كائن بلغته. وفأرنا اختار التحدث بلغة البشر عالماً بأنه يتحمّل وحده عواقب مثل هذه المغامرة المحرّمة. مفهوم أنها لحظة مخيفة وذهبية، شبيهة بلحظات الذروة الجنسية. ففيها يختلط سحر مذاق الواقع بالرغبة في الاختفاء. في ساعة مبكّرة من صباح ذاك الشتاء، خرج الفأر من جحره في غرفة المطبخ، من دون مبالاة، مثل سكّير يبحث عن علبة كبريت. وكانت العائلة تجلس إلى مائدة الفطور بكسل وأمان...

قال الفأر: صباح الخير...

عندها - فقط - اختلفت قواعد لعبة الخوف، وصار الفأر بحجم الديناصور!

شكو ماكو

شكو ماكو؟
ذراع هنا، ولطم هناك

شكو ماكو؟
دم هنا، وبرتقال هناك

شكو ماكو....

كان نعشه خفيفاً فوق الأكتاف. وكان بإمكان الريح حمله كقشّة إلى النهر. لكنهم سافروا به إلى مقبرة النجف. لم يكن في النعش سوى ذراعه اليمنى الموشومة بقلب حب، يخترقه سهم كبير. هذا ما تبقّى منه حين انفجرت السيارة في السوق. كان البائع يملأ له الكيس بكيلو من البرتقال. بائع الفاكهة تدحرج رأسه مع الرمّان. كفّنوا ذراع الرجل، ودفنوها هنا في التراب. في الليل، وضع الدود خطّة محكمة لأكل قلب الحب من دون أن يغصّ بالسهم. تحدّثت في البدء دودة معمّمة عن عظمة الإيمان بالله. ثم ألقت دودة شاعرة قصيدة مديح عن التراب والعدم. ثم تقدّمت دودة لها شهادة عالمية في الطهي، وجاءت بالسلطات. دودة بعيدة عن البيت، تقتات من الغربة، كتبت مقالاً حماسياً، تتّهم فيه الدود بالخيانة، وتغنّت بالدود - المقاومة. وأكل الدود طوال أسابيع معتمة بانتظام وإخلاص. وفي الأخير، نزلت الملائكة، ولم تعثر - كالمعتاد - على شيء. دوّن الملاك الطيب: هنا رائحة برتقال. أما الملاك الشرير؛ فكتب: هذا هو ابنك الإنسان.

شكو ماكو؟
يجب بناء المزيد من المحاكم بدل طباعة الصحف
مع أن العدالة سلحفاة مصابة بالشلل النصفي

شكو ماكو؟
صحيح أن الكتابة ليست قطناً طبياً
لكنها بصمة، قد يستخدمها المحقّقون بعد ألف عام
يمكن لهم أن يكتشفوا الرائحة في الحلم، أو يصلوا إلى دليل أساسي في قضية الإنسان.

شكو ماكو؟
حين أقول إني تحوّلتُ - ليلة أمس - إلى زرافة، لا أحد يصدّقني
لكنهم يصدّقون جميعاً أن رأس طفل - هذا الصباح - طار محترقاً من هنا إلى هناك.

شكو ماكو؟
وضعنا في المتحف عظام الديناصور وطاسة ماء حجرية مفطورة، ولم نضع الكراهية، ولا الرعب، في صندوق زجاجي للفرجة والتقاط الصور.

شكو ماكو؟
المسرحية عنوانها العاصفة
والممثل هو طفل عار.
لقد مللنا من التصفيق والتبوّل في سراويلنا...

شكو ماكو؟
ماكو شي... سوى دم وصراخ

مياه العميان

تلقّيتُ قبل أيام رسالة من كاتب منزعج، يشرح لي طرق الكتابة المعاصرة بنبرة دينية. أظن أن قلب الرجل يتفطّر وجعاً على طريقة كتابتي المنوية. خمّنتُ - أيضاً - أنه من الكتّاب المسالمين الذي يكتبون من أجل الدخول إلى أكاديمية الكتابة العربية النظيفة. النقية. المهروسة جيداً في مطحنة النحو. أظن أن الرجل حارس لغة مخلص وذو نية شريفة. لا أدري كيف سيكون حال اللغة وبقية الأبقار المقدّسة من دون هؤلاء الكتّاب!. أعتقد أنه لو تُركت الأمور لكتّاب على شاكلتي، لحلبوا البقرة حتى آخر قطرة، وذبحوها في منتصف الظهيرة على مرأى العبيد. ما أزعجني حقاً في رسالته نبرته التطبيبية؛ إذ ما علاقة جروح البلاد التي تطرّق إليها في رسالته بما أكتب؟!. ثم مَن قال له إنني أكتب من أجل إنقاذ حياتي؟!. أفضل أن أستمني من دون انقطاع على أن أداوي حياتي بالكتابة. أنا أكتب عن حقد، فحسب، يا رجل. ثم هل يمكن لكحّال مسكين أن يشفيني؟!. الله يرحمك، يا ابن زكريا الرازي! ابن القحبة منصور السماني أساء معاملته بوقاحة، لا تُغتفر. أمر بضرب الرازي بكتابه إلى أن يتحطّم رأسه، أو يتحطّم الكتاب. فالرازي المسكين فشل في بعض أبحاثه الكيميائية التي طلبها منه السماني. ظلّوا يضربونه، إلى أن فقد بصره. وحاول (كحّال) مثل أخينا صاحب الرسالة مداواته. جلب بعض الأدوية لمعالجة بصر الرازي. غير أن أبا بكر بن زكريا سأل الكحّال قبل أن يوافق على مداواته، عن طبقات العيون. أجاب الكحّال إنه لا يعرف شيئاً عن هذه الطبقات. أجابه الرازي بحزن: إنه يفضل أن يفقد بصره على أن يداويه كحّال لا يعرف عن أنسجة العيون شيئاً. أنا أعرف أن غضبي من رسالتك سيحشرني معك في واجهة الغرور الزجاجية نفسها. لا فائدة من الصراخ في القصائد: أنا

صرصار، لتحقير الذات بذريعة التواضع. كل مَن يريد ذلك ما عليه إلا أن يفيق ممسوخاً، ويتدبّر مأزق يومه مثل المرعوب كافكا. صدّقني يمكنني أن أتفهّم الحكمة الأمومية التي غلّفت نبرتك في الرسالة، يا صديقي. أعتذر منك حقاً. لم أقصد السخرية. أنت تعرف مثلي جيداً هذه الحكاية المكرورة: رجل تجاوز العقد الثالث من عمره يظنّ أنه امسك بجوهر اليأس. وآخر في منتصف الرابع يضحك منه. ومَن في الطابق الخامس يسخر من الرجل في الرابع، وهو يبصق ويتمتم: اليأس دمٌ يطوف في دمي. أما الرجل الذي هو في السادس؛ فيكتفي بهزّ يده على ما يتوهّمه هؤلاء الرجال. وهكذا كلما صعدنا السلم، زاد إعجابنا بأنفسنا كحكماء ومعلّمين. صبي في العاشرة من عمره هو اليأس بعينه. الفارق الوحيد بين الرجال وهذا الصبي الجميل هو نهر الموت. الرجال يغرقون، بينما الصبي تلميذ مايزال يقرأ فيه. سمكة مايزال النهر مدرستها. لا أدري إن كنت تعرف الكثير عن عالم الأسماك. حسب ما فهمتُ أنك مشغول هذه الأيام بكتابة قصيدة، ستثبت فيها إعجاز اللغة العربية، وقرب وسادتك تنام المعاجم السمكية. الله في عونك. لكن السمكة في الطبق الذي أمامك تهمّني أكثر. أرجوك، تأكد من أن السمكة ليست من جنس (سمك الرئة). هذه الأسماك تنحدر أصولها من ما قبل التاريخ. لك أن تعرف بأني أحسد هذا السمك على إرادته الشعرية. تخيّل أنه قادر على التنفّس حتى حين تجفّ البحيرة. يختبئ في الوحل، ويظل حياً، إلى أن ينزل المطر مرة أخرى. أعتقد أن الإنسان لا يختلف كثيراً عنه في القدرة على التمرّغ في الوحول، من أجل حفنة هواء قادمة. لا أتفق معك كثيراً في هذه المسألة. فحركة الإنسان الدفاعية تخلو من الزهد والتنسيق. إنها مجرد حركة عشوائية - دموية. وفي كثير من الأحيان لا تتعدّى حقيقة وسائلنا الدفاعية حدود رغباتنا الدفينة في الانتقام.

تقول: لماذا لا تصطدم السمكة الملوّنة بجدار حوض الزجاج الذي نربّيها فيه رغم أنها لا تُبصر!

ابتسمت: انها في هذه الحالة أقرب إلى الخفّاش. لهذا النوع من

السمك حبل عصبي يمتدّ من الدماغ عبر فقرات الظهر. بعدها تتفرّع هذه الأعصاب على جدران الجسم إلى نقاط حسّاسة، تشكّل - فيما بعد - ما يسمّى بالخط الجانبي. من خلال هذا الخط يمكن للسمك أن يلتقط الذبذبات في الماء، ولذلك لا يصطدم بأيّ شيء. أطفأتُ المصباح، وأردتُ أن أعثر على نفسي في الظلام، لكنني - بالطبع - ارتطمتُ بالحائط. فأنت سمكة غير مجهّزة ببوصلة. أضاف قائلاً بصوت محرج: ما قيمة النظر إذا كنا نعيش محكومين إلى الأبد في نفق عالم مظلم! حسناً، الجواب عند سمكة أخرى. ستجيبك هذه المرة سمكة صغيرة بكل صراحة. إنها سمكة الكهوف التي تنتشر بكثرة في المكسيك. فحين تُولَد، وفي مرحلة الطفولة بالتحديد، يكون لها عينان طبيعيتان، ثم ينمو الجلد حتى يغطي العينين. وعند البلوغ، تُصاب بالعمى. في الحقيقة هي لا تكترث بالجلد الذي ينمو، ولا بالعمى، فما جدوى الإبصار إن كانت تعيش طوال حياتها في كهوف البحر المظلمة. هي تعوّض عن ذلك بقدرتها على الشمّ والذوق تماماً كما عاش بورخيس السمكة. غالباً ما يمكن تصنيف قوة النظر عند الأسماك المبصرة وفق طعامها. فالسمك الذي يتغذّى على النبات يكون نظره ضعيفاً جداً. أما المفترس؛ فيكون نظره بالغ القوة. وهذا الأمر ينطبق على التباينات في نظر الكتّاب. أطفأتُ سيجارتي على الحائط، وأضفتُ: عالم كأنه زريبة! لا أدري لم لا أعثر في كل مرة سوى على هذا الحائط أمامي. وبورخس أصابه الهلع بسبب توغّله في كهوف المكتبة. لقد تعرّف إلى الكثير من هيئات النور والظلام، وكلها لا تُطاق. لجأ إلى اللعب، واستغنى عن فكرة أن يكون قرش بحر، أو روائياً. بصقتُ على الحائط من جديد، قبل أن أخرج وأترك الباب مفتوحاً. وهذه من عاداتي الدرامية. الباب المفتوح والبصاق.

والآن لنعد إلى المعجم الذي بين يديك. لا تنزعج بسرعة، أرجوك، فأنا أشك - أيضاً - في أمر هذا المعجم. أكيد أن هناك مئات الطبعات الجديدة والعتيقة من المعاجم المطرّزة بالتراب. يستعين بها الكثير من المحتاجين والفضوليين والقَتَلَة لتفسير أقصر وأدق السبل. لكنها لا تعدو كونها طبعات

مزيّفة منسوخة. كل معجم لا يشيد من طبقات المياه البركانية، هو كتاب يدّعي أكثر مما يفسّر. والمعجم الأعظم هو الذي لا يفسّر، بل يضاعف اللهفة، كما تعرف. المعجم أحجية سحرية للحفاظ على اللذة ودوار الرأس. مثلاً لا يمكن الإيمان بتفاسير الغرق المتوارثة. يغرق القراصنة حين تثقب سفنهم بمدفعية قراصنة آخرين. ويغرق السمك حين تكتم أنفاسه بشباك الصيادين. الداخل إلى البحر يغرق، والخارج منه يغرق أيضاً. وهنا يكون كل حديث عن النجاة احتيالاً، تقوم به المعاجم الدينية. وكل حديث عن الغرق ومغزاه ليس إلا محاولة مكرورة ومقرفة، تقوم بها معاجم الفلسفة. يبقى لدينا الشعراء، وهم الأكثر دجلاً في الحكاية. فهمّ الأول، والأخير هو المعجم بحدّ ذاته. هم يتبارون بالطبعات فيما بينهم، ولا يتوانون عن قتل كل ما يصادفهم من أجل طبعة جديدة. أكيد أن القشّة تبقى الأمل الأخير وحركة شعرية خالية من المراوغة، إنها الوهم والحقيقة، القشّة جملة مائية من ألف صفحة وصفحة!
أبدل الطقس فكرته فجأة. ظهرت الشمس، وبقيت الشوارع مبلّلة بأمطار الصباح الغزيرة. تسارعت حركة الناس قليلاً، وزادت السيارات من سرعتها. فكرتُ: يمكنك الآن أن تعثر على مَن يبتسم من دون سبب. امرأة عجوز أغلقت مظلّتها بعد أن مدّت يدها أكثر من مرة خارج المظلّة، للتأكّد من أن المطر قد كفّ عن الهطول. الحياة من واجهة المقهى الزجاجية تبدو أقل عدائية، وكأنها تسير حسب الخطة المتواضعة التي رُسمت لها، قانعة راضية. توقف شاب يغطّي عينيه بقبّعة كبيرة، وهو يتلفّت وكأنه فقد شيئاً. نقل الحقيبة من يده إلى ظهره، ثم خرج مسرعاً من إطار واجهة المقهى صوب اليمين. مياه الأمطار تنزل عند حافة الرصيف حاملة معها نفايات الناس إلى الأسفل. غيمة عملاقة بدأت تنزاح، وأعطت للشمس مساحة أكبر. لم نر الشمس في السماء. راقبنا أشعّتها، وهي تنتشر ببطء في زجاج نوافذ تلك البناية العالية. بعدها بأطول من ساعة لم يحدث أكثر مما يمكنك أن تتوقّعه أن يحدث حين تراقب الحياة من واجهة مقهى. مع ذلك فقد حدث قتال خاطف في الداخل، انتهى بسفك دماء بشعة ذات رائحة كريهة ومقزّزة، شبيهة برائحة دم الولادة الذي يصبغ رأس الوليد. طلبتُ علبة سجائر وكوب

قهوة آخر. أردتُ أن أمد الداخل بأكبر قدر ممكن من دخان السجائر. خشيتُ أن تنتهي العلبة في أثناء القتال (وبين إحساسين ضاربين في القدم). كنتُ معلقاً بين اليأس والهلع. حينها كانت السماء تمطر بحقد. أخذ الداخل يغرق، لكن المياه لم تصل رأسي. وفي عين رسام سوريالي يكون الرأس على رقبة نعامة. الرقبة تدور فوق سطح المياه مثل عين الغواصات الحربية باحثة عن نقطة ضوء. عن بصيص أمل...

مرت ثلاث ساعات. راقبتُ عودة ظلال الغيوم إلى نوافذ البناية العالية. رجل قميء القامة مدّ يده؛ ليتأكد من سقوط أولى قطرات المطر. فتح مظلّته، وسار متجهماً. عادت الحركة إلى الوراء مرة أخرى. مطر. مطر. حقد. مطر. رقبة النعامة أخذت تسير بحذر وحيدة على الرصيف بخطوات رجل أعمى. لا... لا، لم أنشغل عنك، يا صديقي. كل ما في الأمر أنني نزلتُ إلى المقهى للكتابة إليك. لكنها - كما ترى - أمطرت من جديد. لقد تأخر الوقت. سأكتب إليك هذه الليلة. لكنْ: قل لي أين انتهينا؟! أظن أنني كنتُ أحدثك عن طير عملاق عجيب. نعم، تذكّرتُ. هو طائر ضخم الجثة، يسمّى بالعربية (الصخاب). يبلغ طول جناحيه خمسة عشر قدماً، وله صوت قوي مثل نفير يوم الحساب. إنه طائر حالم ومرعوب أيضاً. قادر على الطيران ساعات طويلة دون توقّف. ويقال إنه ينام في أثناء طيرانه. وعلم النفس يجد حالة هذا الطائر موازية لحالات المصابين بالفصام، لكنهم لم يجزموا بذلك، فمايزال هناك متسع من الوقت قبل التأكد مما يعانيه الإنسان بالتحديد قبل التوغّل في أسرار طائر البحر. نحن بحاجة إلى المزيد من المختبرات. عليهم أن يتوقفوا عن إجراء الاختبارات على الفئران، وإلا سيفوت الأوان. علينا أن نشرع في تجارب مختبرية، بطريقة مباشرة على الحيوانات من فصيلة البشر. علينا أن نعرف أنفسنا قبل أن تلتهمنا الكارثة التي سنتخيّلها ونسبّبها نحن لأنفسنا. هناك حاجة إلى المزيد من المتطوّعين، للوصول إلى منابع الورم الإنساني. هناك حاجة ملحّة اليوم إلى جنود فئران. ولا ضير من جرّ الناس عنوة إلى المختبر، ومثل هذا الطفل الذي يركض في الحديقة العامة. يمكن أن تلخّص

حكاية التحليق بطريقة واقعية؛ إذ ما فحص ريش الطفل بمجهر محايد. أقصد من دون شفقة، أو تردّد! أما طائر البوم؛ فعثرتُ على أحد أجمل أنواعه في كتاب الإمتاع والمؤانسة. إذنْ؛ أصغ إليّ: في ليلته العاشرة، يصف أبو حيان التوحيدي في كتابه الرائع هذا طائر البوم، كما لو أنه يلخص حياتي:

(البوم: مأواه ومحلّه الخراب، يوافقه الليل، لأنه بالليل بصير، وبالنهار كليل، مع حبه للتوحّد والخلوة بنفسه، وبينه وبين الغربان عداوةٌ، ما تنقضي). أنا أدّعي النسيان خوفاً على ما تبقّى مني. الساعة هي بلا حراك منذ الثانية عشرة وخمس دقائق. رغم أن ضوء الفجر يتمازج ببطء في زجاج النافذة المتّسخ. ربما توقّفت الساعة نهار البارحة أو ليلاً قبل يومين، أو قبل أن تمرض. في الثانية والثلاثين من عمري، أرقد في هذه اللحظة وحيداً في شقة صغيرة بعيدة كل البعد عن الأشخاص الذين مايزالون يتذكّرونني. في الصورة التي تلطّخت بالمني، امرأة زنجية عارية، تفرك بظرها بأصبعها، وتفتح فمها مثل سمكة مرعوبة. غسلتُ زبّي، ثم عدتُ إلى السرير، وبيني وبين الماضي عداوة، ما تنقضي. في الثالثة والثلاثين. فجراً. في الثانية عشرة وخمس دقائق على الحائط. الآن. أستلقي وحيداً. أكتب قصيدة خالية من الشعر. أكتب هيكلها العظمي. أخرج المني؛ لئلا يفسد. أعدّ فطوري. بيضة غراب وقهوة. الشمس تصعد. ظلام يهبط. أين أنت؟. أنا لا أراك. أشاهد في المرآة سمكة قرش تستلقي في السرير. أظنها تنام في مكاني، يا للوقاحة! سأكتب إليك غداً، حين أشتري لزمن الحائط بطارية جديدة، وللنهر سمكة، ستنزل فيه مرتين. هل ستصدّق هذا الشيء؟ أم أنك ستتّهمني بالجنون هذا المتاع الاحتياطي في حياتي؟ تحيتي، وكن أكثر حكمة من السمك والأنواع الأخرى من مملكة الحيوان.

رأس أجداده شيعة وسنّة

أفتح باب هذه الورقة مثلما يفتح سجين سابق باب بيته القديم. ليس بحوزتي رواية تبحث عن جائزة. قصيدة النثر على الطاولة تشبه مسوّدة أمعاء غليظة. لم أكتب مجموعة من المقالات عن الحياة والموت. وأنا لا أفهم بالأصل الفلسفة. لا أملك غير رأسي الذي يؤلمني. جيراني أوصدوا الأبواب واشتروا كلاب حراسة. لا أملك حبة إسبرين للماضي. الأطبّاء أتعبوني بوصفاتهم الكيمياوية. قلبي يخفق بشدة، ويسعل وحيداً في الظلام. النوم كوابيس مدرَّبة على الاغتيال. النوم هو الذي يطاردني. أنا أقود مؤامرة ضد رأسي. النوم جماع بحاجة إلى درع. سأحرس رجولتي من النوم مهما كلّف الثمن. سأطيع وصية أمي، إلى أن تموت: - مو زلمة إللي تطلع عليه الشمس، وبعده نايم. أكره دخان السجائر في غرفة المطبخ. شتاء هلسنكي فخّ ذئاب بأنياب جليدية. في الصيف أدخّن في الشرفة المطلّة على الحديقة. الساعة الواحدة بعد منتصف الليل. الشرفة الآن ثلاجة موتى، ترقد فيها الكآبة. أنا على أتمّ استعداد، وعدّتي جاهزة. أغطس في وحشتي باسطاً يدي، مثل كاهن، على الطاولة الخشبية. أقلّب في صور نهار البارحة المشوّشة، تتكلّس مخيّلتي من جديد. مزيد من دخان السجائر يلتفّ كمارد متجهّم في سقف الغرفة. هناك - بالطبع - مَن يحترق في هذا المطبخ. أفتحُ النافذة، فيدخل الهواء البارد مثل سيارة إسعاف. تنتعش قشرة دماغي قليلاً، لكن الصداع يتفاقم. الثلج في الخارج يهبط بحذر، مثل فرقة من المظلّيين في مهمّة سرّية. مهمّة الثلج: نسف رأسي. أفكر: لو كان رأسي الآن قرب سكّين طويلة، ورجل ضخم الجثّة يتلو بيان حول موضوع حزّ رقبتي. أجلس راكعاً، أسفل لافتة سوداء خطّوا عليها اسم الله ونبيّه. لا يمكنني التعاطف في هذه الساعة مع

ضربات قلب المذبوح، لا أملك إحساس رقبته. لكنني أملك إحساس الكلب الذي دهسته شاحنة، ولم يمت بعد. الورقة أمامي بعيون متورّمة. ربما بصري يخادع. أظن أن الورقة بصحة جيدة. ولا ينقصها سوى جرثومة قلبي. يمكنني أن أذهب غداً لزيارة الطبيب، وأضع نهاية لرأسي. لكنْ؛ عليّ التريث قليلاً. ما أزال بحاجة إلى الظلام. أخوتي الخفافيش تاهوا في النهار. فرّقتهم السيارات المفخّخة. بعضهم صاروا شعراء. وآخرون انصرفوا عن الكلام. الله أكبر. الله أكبر. ويتدحرج الرأس. لكنهم لا يصوّرون المشهد حتى النهاية. ما الذي يحدث بعد ذلك؟!. هل يحملون الرأس بتواضع واحترام، ويحشرونه مع الجسد في شوال طحين فارغ قبل أن يُلقوه في النهر؟! أم أنهم يطلقون ضحكة عالية حالما يُغلق المصوّر كاميرته؟!. ربما يشرعون باللعب بكرة القدم - برأس صاحب الجسد، الممدّد هناك برقبة مقطوعة. مَن يا ترى يُنظّف بعدها أرضية الغرفة؟! زوجة صاحب الدار؟! ربما كانت تطبخ لهم «تشريب» لحم خروف ورزّ في أثناء حزّ رقبة المخطوف. بعد انصراف صاحب الدار مع عصابته، تقوم الزوجة مع بناتها بغسل بلاط الغرفة، بالماء والصابون. يا تُرى، هل يستخدمن الصابون المحلي؟ أم منظّفاً خاصاً، يحمل ماركة أجنبية؟!. والسكّين؟ ألا يمكن الحصول على واحدة من تلك التي نُفّذت فيها وصايا نبيّهم؟!. يمكن عرضها فيما بعد في المتاحف إلى جوار هراوة إنسان الكهف. لكن خبراء المتحف يعترضون. وإثر ذلك تتشكّل جمعية للدفاع عن الهراوة. يقولون إن السكّين ستُدنّس، حسب بيانات الجمعية، هراوة الكهف. فهذه كانت تُستخدم عند إطعام الأطفال أيضاً. ضربة على رأس الحيوان، ثم يترنّح، ويخرّ صريعاً. عدا هذا فالهراوة المتحفية هي اليوم الدليل على مسيرة البشرية المشرفة. لكنْ؛ ربما السكّين من أجل إطعام الأطفال أيضاً. أطفال يكلّف طعام عشائهم خمسة ملايين دولار أحياناً. وإذا لم تحضر الدولارات في وقتها يتحوّل الرأس إلى كرة قدم ذات عينين جاحظتين من شدة الهلع. الرأس - أيضاً - كرة ذهبية، يمكن عرضها في المتحف. الله يقطع رزق أهل المخطوف الذين لم يدبّروا الدولارات، كما قطعوا رزق أهل الخاطف الذي قطع رأس ابن أهل المخطوف. أما أنا ابن القحبة؛ لا شيء

غير رأسي الذي يوجعني، وحاجتي إلى أن أعثر على حلّ سريع لحياتي. لعلمكم أنا إرهابي نظيف، وأكثر لطفاً وأدباً، وقد أموت بسبب التدخين قبل قلع ضرس منخور من رأسي. كان زميلي سيوران يقول: لستُ أنا مَن لا يصلح للعالم، بل العالم لا يصلح لي. سيوران زميلي في العمل. بالتأكيد لا مقارنة بين عمله الشاقّ وبين خربشاتي. لكن كلينا يعمل في مصحّ الأرق. هو مسؤول عن قسم الانتحار، وأنا منظّف في حمّامات المصحّ. هو وضع كل خطط الانتحار بعبقرية وصبر، لا مثيل لهما. لكنه لم ينتحر. نحن الصغار فقط، مَن شنقنا أنفسنا، ونحن مَن قفزنا من الطابق الأخير. أما هو؛ فكان مثل الرب الخبيث، يخطّط، ويكتفي بالفرجة والسخرية. على كل حال، سيوران العزيز استقال عن العمل، وذهب؛ كي ينام منذ زمن. الدور الآن لمَن لايزال رأسه يغلي في المطبخ. كنتُ أضرط بقوة، وأنا أمسح أرضية الحمّامات من الدم. أوه، ليس سهلاً محو آثار الدم من أصابعي. أنا مَن أحدث ثقباً في رأسه، بواسطة دريل كهربائي؛ كي يكون عبرة لنفسه. سأقرأ قليلاً، أو قد أفتح قنينة نبيذ ثانية. سيجارة أخرى. لم لا أتعلّم الفنلندية، وأشتري دراجة هوائية بدل متابعة نشرة الأخبار. عثروا في مدينة البرتقال* على ثمانية رؤوس مقطوعة في صناديق الموز. هل ينقل الموتى الجدد الأخبار إلى سلفادور دالي؟!. لكنْ؛ لم لا يضعون الرؤوس في صناديق البرتقال؟!. الموز فاكهة غير محلية. والآن ما الفرق بين رأس شيعي ورأس سنّي؟!. أظنّ أنه خلاف بقري أيضاً. لا أدري إن كانوا يتّفقون حول الجنس الفموي. بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم، على سيّدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين، ومَن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد: أما الجنس الفموي؛ فلا مانع من أن يكون، إلا أن تجنّبه أفضل. أما النيك من الدبر؛ فهو حرام... والله أعلم العالمين. لكن بعض علماء المسلمين يحرّمون الجنس الفموي. ويقولون لو أن محمداً العربي قد مارسه، لذكره، ولذكرته زوجاته اللواتي كنّ يقلن فقط: (قبّلني رسول الله.. مصَّ لساني رسول الله... عضّني رسول الله)، لكنهنّ لم يقلن (لحس.... رسول الله)، أو (رضعت... رسول الله). نصحتُ صديقتي

بأن لا تقلق، فالشيعة يحلّلون الدبر بسبب نعمة ظرف (آني)، فهي زمانية ومكانية في آن واحد. السّنّة يحبونها زمانية والشيعة مكانية. تقول البقرة الإسلامية:(نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم...). تضحك صديقتي ظانّة أني أمزح، فالبقرة لا تتكلّم عندنا. قلتُ لصديقتي: أكيد أنت شيعية، وأنا أدخل أجمل أصابعي في ثقب مؤخّرتها. لكنْ؛ ها هو ضوء الفجر يصل منتصراً مرة أخرى. لابد من أن أختبئ بسرعة في مكان ما. فأنا قد هربتُ من القفص في حديقة الحيوانات منذ أعوام. هم يبحثون عني الآن في كل مكان، وفي أيديهم البنادق. أنا وحش وجائع. لا يهم إن كانوا سيقتلونني، أو يقبضون عليّ في نهاية المطاف. المهمّ أنني أقتات على رأسي بكامل حريتي. رأسي بيضة مقلية تحت ضوء القمر. رأسي طائرة تهوي من السماء. رأسي قاعة محكمة. رأسي خصيتا الشيطان. رأسي الذي لم يكن في صندوق الموز هو الآن كل قضيتي.

-توصف محافظة ديالى العراقية بمدينة البرتقال، لكثرة بساتينه فيها

طفل الشيعة المسموم

يمكن الاطلاع على إحصائيات المصحّات النفسية وأقسام الطوارئ في المستشفيات، والإفادة منها فيما يتعلّق بحالات المصابين بالكوابيس. منهم مَن وصل إلى المستشفى والدم ينزف من أنفه، كأن أحدهم حزّ أنفه بمنشار. ومنهم مَن لم يعد يميّز بين الساكن والمتحرّك. والحالة التي يزعم الأطبّاء بأنها الأخطر، هي التي يصل فيها (المكبوس) بكابوس إلى المستشفى، برفقة الأهل أو الأصدقاء الذين يُخيّل له أنهم أشباح كابوسه الحقيقيون. ويستمر في الصراخ والتوسّل إلى الأطباء بأن يبعدوهم عنه. لكن الأطبّاء يفعلون شيئاً آخر: يربطونه، ويدخلون حقنة في مؤخّرته. وحين يفيق، يبتسم المرافقون بوجهه، ويعود المكبوس إلى الصراخ.

الكوابيس هي رفسة حقد في معدة الإنسان.

أقسم أني شاهدتُ هذا الكابوس حتى تقيّأت أحشاء روحي!

أرجوك، أيتها العرّافة، فكّي لي رموزه!

حقيبة

كنتُ قد عزمتُ على أن أهجر البيت إلى غير رجعة. فتحتُ دولاب الملابس لجمع بعض الكُتُب والأشرطة الفيلمية التي أردتُ أن آخذها معي. كتاب عن أسرار الدم، ونسخة من مخطوطة سرّيّة عن خلق الصور المرئية المتحرّكة. منذ شهور، أشعر بانتفاخ مخز في بطني. كانت أمي تقف في إطار الباب، وهي تشبه غراباً نحيفاً، من دون منقار، وتبكي. أخبرتها أني سآخذ معي سكّين المطبخ الكبيرة. راقبتني وأنا أنحني تحت السرير أبحث عن حذائي الشتوي. أغلقت الباب، ولم تتفوّه بكلمة. قلتُ لها إنها ساعة الوداع. خلعت فوطتها الرمادية، ثم ثوبها الأسود. هذه أول مرة أعرف أن أمي التي هي بلا منقار لا ترتدي شيئاً تحت ثوبها البطّانية. لم أُدهش؛ لكون الحديقة الصغيرة أعلى الكس بهذه الكثافة والبشاعة. فهي أرملة منذ عشر سنوات. لكنني انتبهتُ إلى أن بظرها لايزال يشعّ. إنه بلون برتقالي عجيب. مازحتُها حول هذه النعمة البرتقالية. كما أخبرتها أن تبحث له في غيابي عن رجل، يعرف قدره. أما ثدياها؛ فهما لا شيء يُذكَر. كنا تسعة جرذان، أكلنا وشربنا منهما، وأكل وشرب معنا جرذي الوجع ليلة بعد ليلة طوال سنوات عجيبة من الصراخ والعذاب. الكلمات ثمار تعفّنت. لا فائدة من خلطها من جديد، وتحليتها بالسّكّر. ودعت بظرها وشيب رأسها. كانت تئنّ من فرط الحبّ مثل مقبرة جماعية. ثم قسمت جسدها بسكّين المطبخ إلى قطع صغيرة. سحبت من ثوبها أبرة الخياطة الصغيرة. نعم، بالتأكيد. صنعت من لحمها قلادة جنوبية. من روحها كان خيط القلادة، ولم يكن مرئياً. وبعدها دسستُ كل شيء في الحقيبة.

(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم... كابوس...). شرب قليلاً من الماء، وغطّ في نومه، من جديد.

سجادة

انتظرتُ أن ينتهي جدّي من ركعته الأخيرة. كانت قلادة اللحم تُصدر صوتاً خافتاً من حقيبتي. أنا راحل، يا جدّي. متى ستموت؟! تخيّلوا أن جدّي كان يصلّي عارياً. خصيتاه كانتا مقزّزتين. أردتُ أن أقدّم له خدمة أخيرة قبل أن أختفي إلى الأبد. مسحتُ الدم من سكّين المطبخ، ووضعتُ خصيتيه في جيب جانبي صغير في الحقيبة. انتبهتُ إلى صورة الله المطرّزة على السجادة. كان يركع مثل حصان، كُسرت ساقاه الأماميتان. فكّرتُ بأنه لا بد من أن أترك أثراً طيباً في قلوب الجميع. انحنيتُ للمرة الأولى والأخيرة فوق سجادة الله. راح هو يصهل، وأنا ادفع بقوة. جدّي الذي ينزف الآن مثل نافورة. أشار إلى حوش البيت بطرف عينيه. بالطبع، يا جدّي العزيز، سأودع الجميع. أكملتُ رشّ الغرفة بالنفط، وأخرجتُ عود الثقاب من الكبريت. حرّك عليّ بن أبي طالب شفتيه من صورته الكبيرة على الحائط.. أراد أن يتفوّه بكلمة، لكن رعبه شلّ لسانه. تمكّن أخيراً من ركل أسده المخنّث في الصورة. نطّ الأسد من الصورة؛ كي ينتقم. لكن عود الثقاب كان قد أشعل الغرفة. كان دم جدّي نافورة وسط النار. ارتطم المخنّث بالنافورة.

(أستغفر الله العلي العظيم... كابوس...) شرب قليلاً من الماء، وغطّ في نومه، من جديد.

نصف وردة

مثلما أشار جدّي، دخلتُ الحوش. كانت أختي حوراء تحاول أن تجفّ تحت الشمس. انحنيت مثل كلب صادق، ألعق البلاط. ألعق ما كان يقطر من حوراء على البلاط. كانت تفوح منها رائحة الصابون. مغسولة جيداً. رأيتُها معلّقة بالمقلوب بقراصات ملوّنة من أصابع قدميها على حبل الغسيل. كان عريها يلبط مثل سمكة. حلمة نهدها الأيسر برتقالية مثل بظر أمها. والأيمن من دون حلمة، بل علق نصف وردة بدبوس مكان الحلمة. وردة قهوائية. لا يمكن القول بأنها ساحرة. لكن جسدها الحنطاوي كان قد وصل بقارورة سحرية من سفينة، غرقت في عصور خرافية. كانت النساء يحكمن بسبب جمالهن الذي لا يُطاق. قطفتُ نصف الوردة بسكّين المطبخ، ووضعتُهُ في حقيبتي الجلدية. حوراء التي كانت تجفّ على حبل الغسيل هي قبلتي الأخيرة في البيت. أبي مات في الحرب، وأخي الأعور الذي فقد عينه في الحرب الأولى مات في الثانية. أما بقية أخوتي؛ فهم يموتون في السوق والحسينيات عن استحقاق كل صباح ومساء. ومن هنا لا حاجة هناك لزيارة المقابر. قبلة أخوية خفيفة طبعتُ فوق رحم حوراء. ودسستُ في خاصرتها سكّين المطبخ. ابتسمت بامتنان. قالت إنها لن تنسى طوال موتها هديتي الثمينة هذه. وتمنّت لي خلاصاً قريباً، بإذن الله تعالى. الله الذي كان يصل صهيله الآن من غرفة جدّي التي شبّت فيها النار.

(رحماكَ ربّي... كابوس...) شرب قليلاً من الماء، وغطّ في نومه، من جديد.

رأس

في الزقاق، كانت هناك مسيرة حاشدة للّطم على رأس الحسين. لهذا لم يعر أحدهم أيّ انتباه إلى الدم الذي كان يقطر من حقيبتي. أول الأمر، خُيّل لي أنني لمحتُ فتاة، كانت - في وقت ما - تخضّ قضيبي. زوّدتني بأحلام يقظة، ليست بالسيئة، لكنها اختفت فجأة بين الحشود. كان الدخان قد بدأ يتصاعد من البيت، وأظن أنني شاهدتُ حوراء تصعد مع الدخان على هيئة قميص شفّاف أزرق. أحسستُ بالرضى والامتنان، فأنا رجل مجهول بين الجموع العارية التي كانت تنتحب. ومرّ سرب من الطيور المسرعة، وألقى على الرؤوس بضع حبّات من البراز، قبل أن يظهر الإمام الحسين، ويخطب فيها. لم يكن مقطوع الرأس أبداً، صار هو بعمامته ولحيته الغريبة ينفخ على أمواج البشر، ويصرخ فيهم، ويحرّضهم - من حين إلى آخر - على أمور، لم أكن أفهمها. وحين يصل أحدهم إلى ذروة الإيمان، يرتفع عن الأرض فوق الجموع، ثم ينفجر جسده مخلفاً أحشاء ودماء وطيناً وأحزاناً مائية. لهذا كانت خطواتنا بطيئة، بسبب غوص الأقدام في وحل الأجساد المنسوفة. مسكتُ حقيبتي الجلدية بقوة بعد أن ارتفع ثلاثة أطفال في الهواء. وفي نهاية الزقاق، عثرتُ على رأس الفتاة، فتاة مخيّلتي مقطوعاً هو الآخر. أزلتُ عنه بعض الأعشاب بسكّين المطبخ، ودسستُهُ في الحقيبة. كان هناك عجوز، شُجّ رأسه بمنجل الحصاد، قد دفعه انتفاخ بطني السوريالي إلى الابتسام.

(دخيلك، يالحسين.. كابوس...) شرب قليلاً من الماء، وغطّ في نومه، من جديد.

منفى

عبرتُ حدوداً ملتوية، وأخرى من الأسلاك المكهربة والرصاص، وأخرى محفورة وممزّقة، حدوداً من شتّى اللغات والأصول. خسرتُ أكثر من طرف واحد من أطرافي في سفينة الرحلة. القراصنة كانوا في كل مكان. في الأخير، وصلت، أنا الذي تشاهدونه - الآن - ببطن منتفخة وحقيبة، إلى الحدود الأخيرة؛ حيث لا حدود بعدها سوى الجليد. حصلتُ أخيراً على فراش. لكنني قرأتُ في الصحف شتائم كثيرة عن المنفى. ما يهمّني أنني حصلتُ أخيراً على غرفة بنافذة، تطلّ على الحديقة. حلمتُ في ليلتي الأولى بأنهم أخرجوا الجنين المتورّم من أحشائي. ثم أعادوا إليّ جلد بطني الذي سلخوه. التقط كل الأبطال والكومبارس في المصحّ صورة فوتوغرافية برفقتي، وأنا متمدّد على جلدي المسلوخ. كان الجنين مشوّهاً بما فيه الكفاية. كومة محروقة من اللحم المتشقّق. أمسكتُ بيد جنيني، وذهبنا إلى الحديقة. طفلي، حبيبي المخيف. خرجتُ إلى يوم جديد مثل رجل بأربعة ظلال، ومعه كلبه الصغير. تركتُ جلد بطني في حاوية المصحّ العملاقة. يوم في مصحّ ناء هو من أجمل أيام حياتي. أجلستُه في حضني تحت شجرة ضخمة، تتدلّى أغصانها مثل مظلّة. رويتُ لجنيني كيف خُدِعتُ. أخبرتُه بما كنتُ أفكّر فيه: زاويا منحرفة قد تليق بهذا المشهد الذي كنتُ أسمّيه جرحاً، أو أن عدسة مقعّرة يمكنها أن تنبش في ذلك الجمال. اعترفتُ له بأني لقيتُ الذئب في أعماقي. الذئب كان على صواب، وقد أوثقته بكتابة الشعر والمشاهد، وهذه أوهمتني أنها مصابيح الطريق.

لا.. يا جنيني.. لا إياك...

رحتُ أمرّنه على بعض حركات الكاميرا المسمومة. لكنْ؛ إياك التوهّم بأنها ستكون عينك السحرية وعكّاز الطريق. إياك أن تتقزّم مع الآخرين في إنجاز أي مشهد، أو قصيدة، أو أغنية تليق بالحياة. أخبرته أن على هذه الكاميرا أن تكون السكّين، أن يستلّها عندما تحين فرصة تسديد طعنة مميتة. وكنتُ قد أخرجتُ سكّين المطبخ من حقيبتي...

بسم الله الرحمن الرحيم

وجّهتُ رأس الجنين صوب الشمس.

رسم أحدهم غيمة عملاقة من الدم والمني في سماء المصحّ!

مطر

مطر

مطر

(ربيّ، أسألكَ بقدرتكَ الجليلة الرحمة والغفران... كابوس...)

الراوي: لم يشرب الماء. أشعل سيجارة. وغادر فراشه، من دون جسد.

فهرس المحتويات

من الكتاب:

تعرّت. ويا عراة، كان جلدها المدبوغ بالأصابع والسياط، يحمل ألف جرح وجرح. تخلع هي قلائدها. واحدة تلو الأخرى. ثوبها، طلسم البركة من رقبتها، القماشة الناعمة من بين فخذيها. حسناً تفعلين، يا زهرتي، اخلعيها، صرختك هذه. تلك القلادة المرة. وطوفي بها بين مسامات الهواء الحرّ. ومثلما تشتهين: أبعد من أيادينا. أبعد من هذه البلاد المشجوجة بالشعوذة والظلام. في أسفل السلم تحرق الزهرة نفسها، بينما يلملم الهندي حقائبه من جسدها المشتعل. ويطير بها، قلادةً.

تسميمُ إحساس جيفةٍ أكبر لذةً ونبلاً من تسميم فأرة. وكتاب منحطّ عن تاريخ الأحاسيس في هذه البلاد، أصبح ضرورة ملحّة.

المتوسط



حسن بلاسم: كاتب وسينمائي عراقي مقيم في فنلندا. كتب في السينما والمسرح والشعر والسرد. تُرجمت قصصه إلى لغات عديدة حيث صدرت مجموعته معرض الجثث بالإنكليزية عن دار بنغوين الشهيرة. رُشح ونال أكثر من جائزة عالمية هامة وفي عام ٢٠١٤ حصل على جائزة الإندبندنت المرموقة في إنكلترا وكان بذلك أول كاتب عربي يحصل على هذه الجائزة.

كتبت عن قصصه كبريات صحف ومجلات العالم، وشارك في العديد من المهرجانات الأدبية العالمية. وصفته صحيفة الغارديان بأنه (أفضل كاتب عربي على قيد الحياة).

منشورات المتوسط

حين تنتهي من قراءة هذا الكتاب ستجد نفسك تكرر الكلمة: الإنسان ... الإنسان ... الإنسان، إلى أن تُصاب بالدوار. لأن حسن بلاسم هنا هندي، وُلدَ في معبد بوذي، من رجل نام مع تمثال في ليلة ماطرة؛ وهو سوريالي متطرّف، لا يؤمن بالتماسك، وكاثوليكي، تزوّج من أصدقائه الذين ماتوا من دون سبب. يطالب بالتحقيق في مركز الشرطة مع جميع الأرحام، وبوجوب تعذيب الكآبة في سجن انفرادي، وببناء سفينة نوح جديدة. ثم يقدم وصاياه السبعة:

لا تتزوّج من قارئ

قشّرْ رأسَ القارئ بسكّين

لا تبخل على القرّاء بعروض للسخرية

اخلق قارئاً، ودع قارئاً آخر يقتله

نم مطمئناً، وفي دولاب الملابس جثة قارئ

لا تُسجَنْ من أجل قارئ

لا تزن مع القرّاء


ISBN 978-88-99687-16-8
9 788899 687168

المتوسط